

روايات همزة الحب

رجل المستحيل

اتحاد القتلة

107

Looloo

www.dvd4arab.com

نبيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة

الطبع ونشر وتوزيع

لوجستكس للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر

١ - ألجنة الذهب ..

تعلمت المصورة المحترفة (أنجيل لوبان) بصخرة كبيرة بارزة ، وهي تتسلق ذلك المرتفع الصخري ، بالقرب من إحدى المدن المكسيكية ، حاملة حقيبة أدوات التصوير ، ولهتت في شدة ، وهي تجلس على قمته ، مغفمة :

- آه لو أن ناشري رأى الجهد الذي أبذله ، في سبيل التقاط تلك المشاهد الطبيعية ، التي سيضمها كتابي القادم .. أراهن على أنه ماكان ليمساومني قط عندئذ ، من أجل بضع مئات من الدولارات ، أو نسبة ضئيلة من الأرباح .

تنهدت في عمق ، وهي تفتح الحقيبة ، وتلتقط منها آلة التصوير ، ثم تثبت بها عدسة من العدسات واسعة المدى ، ونهضت واقفة ، لتلتقط عددا من الصور للمنطقة المحيطة ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة في انبهار واستمتاع :

- يا لجمال الطبيعة في كل مكان !! .. على الرغم من أنني أعمل في هذا المجال ، منذ أكثر من عشر

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصري ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسمم إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية ، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. تيموثي فاروق

سنوات ، إلا أن الطبيعة المجردة مازالت تبهرنى فى كل مرة ، وخاصة لو ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلع فى اهتمام إلى المشهد الذى نقلته إليها آلة التصوير ، قبل أن تخفضها عن عينيها ، متممة :

— عجباً ! .. أمن الممكن هذا ؟ !

صمتت لحظة ، وهى تتطلع إلى المكان بعينيها المجردة ، ثم انحلت تلتقط عدسة أخرى بعيدة المدى ، وتستبدلها بالعدسة الموجودة فى آلة التصوير ، التى رفعتها ثانية إلى عينيها ، ودارت بها بحثاً عن ذلك الشيء الذى لمحتة ، ثم هتفت فجأة :

— آه .. ها هوذا .

قالتها ، وفيض من الدهشة يملأ أعماقها ، وهى تتطلع عبر العدسة بعيدة المدى ، إلى شيء بدا لها أشبه بقصر منيف ، يختفى وسط الصخور المحيطة به ، وينزوى داخل تجويف طبيعى ، فى قلب الجبل الضخم خلفه ، بحيث لا يمكن رؤية أى جزء منه ، إلا من الزاوية التى تقف هى فيها بالتحديد ..

وعلى الرغم من دهشتها البالغة ، راحت (أنجيل) تلتقط الصور فى تتابع لذلك الجزء الذى تراه من القصر ، قبل أن تخفض آلة التصوير عن عينيها ، متممة :

— ترى من ينفق كل هذه النقود ، ليشيد قصراً كهذا ، فى قلب الصحراء ؟ .. ولماذا ؟

لم تكذ تلقى سؤالها ، حتى تنهى إلى مسامعها بغتة هدير مروحة هليوكوبتر تقترب ، فانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول لنفسها :

— أمن الممكن أن تكون هذه الهليوكوبتر

لم تكن قد أتت تساؤلها ، عندما برزت الهليوكوبتر أمامها فجأة ، وبداخلها رجلان ، يقودها أحدهما ، فى حين يحمل الآخر مدفعاً آلياً ، بدا واضحاً عبر واجهتها الزجاجية نصف المستديرة ..

وعلى الرغم من أنها لم ترتكب جرماً ، من الناحية القانونية ، بالتقاط بعض الصور لقصر وسط الجبال ، إلا أن شيئاً ما فى أعماق (أنجيل) ، جعل جسدها كله ينتفض فى عنف ، مع ظهور الهليوكوبتر ، وجعلها تتراجع فى حركة حادة مذعورة ، فارتطمت بصخرة كبيرة ، وتعثرت ، فسقطت على ظهرها ، وأفلتت منها آلة التصوير ، فى نفس اللحظة التى أدنى فيها حامل المدفع الآلى جهازه اللاسلكى من فمه ، وقال فى لهجة جافة خشنة :

— توجد امرأة هنا ، على قمة القل .. ما الذى أفعله بشأنها ؟

أتاه صوت رئيسه صارما حازما ، وهو يقول :
- أنت تعرف ما ينبغي فعله .

مط حامل المدفع الآلى شفتيه ، مغمما :
- بالتأكيد .

وأنهى الاتصال ، وهو يعيل بفوهة المدفع ، مستطردا :
- هذا يسعدنى .

رأت (أنجيل) المدفع الآلى مصوتا إليها ، فامتعت
عينها فى رعب هائل ، وقفزت واقفة على قدميها ،
وتركت حقيبتها وأدواتها خلفها ، وهى تعدو بكل ذعرها
وقوتها ..

ومن خلفها ، انطلق المدفع الآلى ...

ومع سماعها لدوى الرصاصات ، خلف قدميها مباشرة ،
تضاعف خوفها وذعرها ، وراحت تصرخ فى هلع :
- ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟ .. أنا لم أفعل شيئا !!

ولكن الهليوكوبتر انقضت عليها فى شراسة ، وصوب
الرجل المدفع الآلى إليها ثانية ، وهو يقول لزميله :
هذه الغبية تجهد نفسها دون طائل ؛ فرصاصاتى
ستصيبها حتما .

قالها ، وهو يضغط زناد مدفعه ، ويطلق الرصاصات ..
ويصيب هدفه ..

ومع اختراق الرصاصات لجسد (أنجيل) الضئيل
انطلقت فى حلقها صرخة هائلة عنيفة ، واندفع جسدها
فى قوة ، حتى تجاوز حافة القل وراح يهوى لثلاثة
أمتار فى الفراغ ، قبل أن يرتطم بالصخور ، ويتدحرج
فوقها ، ثم يستقر هامدا سائنا أسفله ، فأعاد الرجل
مدفعه الآلى إلى جواره ، قائلا لزميله فى زهو :

- ألم أقل لك ؟

ثم التقط جهاز اللاسلكى ، ليقول لرئيسه فى القصر :
- تم القضاء على المتطفلة .. أرسلوا فريقا لتنظيف
المكان .

استقبل رئيسه هذا الخبر فى ارتياح ، وأسرع بنقله
إلى المنبورا ، قائلا فى حماس :
- انتهت المهمة بالمنبورا .

ولكنه فوجئ بها تجيب فى حدة وعصبية :

- فليكن .. لا تقلقى بمثل هذه الأمور التافهة
بأرجل .. لماذا تتقاضى مرتبك إذن ؟ .. تول الأمر
بنفسك لمرة واحدة على الأقل .

وأنهت الاتصال فى عنف ، أصاب الرجل بدهشة
كبيرة ، وخاصة مع أوامرها المشددة بضرورة عرض
كل الأمور عليها شخصيا .

وشاركته مساعدتها دهشته ، وهى تغتمم :

.. فسوت على الرجل كثيرا يا سنيورا .. إنه ينفذ
أوامرك فحسب .

لوحت السنيورا بيدها في حدة ، قائلة :
.. لا تتدخل فيما لا يعنك .

لأدت المساعدة بالصمت المشوب بالقلق والتوتر ،
واكتفت بمراقبة رئيستها ، وهي تشغل واحدة من
سجائرها الطويلة في عصبية ، وتتفث دختها في
توتر ، وهي تتطلع إلى الهاتف الخاص ، قبل أن تقول
في حدة :

.. لماذا لم يتصل (توماس) اللعين حتى الآن ؟!
لم تكد المساعدة تسمع العبارة ، حتى أدركت على
الفور سر توتر رئيستها الشديد ، وعصبيتها المفرطة ،
طوال الساعات الثلاث السابقة ..

لقد تابعت هذا الموقف منذ بدايته ..

منذ استدعت السنيورا القاتل المحترف (توماس
كلارك) ، زعيم اتحاد القتل ، لتسند إليه مهمة
التخلص من خصمها اللدود (أدهم صبرى) ..

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، كان من المحتم
العثور على وسيلة ، لإبقاء (أدهم) في (نيويورك)
لفترة كافية ، حتى يستعد اتحاد القتل لتنفيذ المهمة ..
وأرسلت السنيورا فريقا من الرجال ، لاختطاف

السمير المصري في (واشنطن) ، على نحو استفز
السلطات المصرية ، فأسندت مهمة البحث عنه واستعادته
إلى (أدهم) وزميلته الجديدة (جيهان) ، اللذين
انطلقا بلا تردد لتنفيذ المهمة ، على الرغم من كل ما
اعترضهما من عقبات ..

وتوصل (أدهم) إلى وجود عميل لمنظمة (الأقوى)
في صفوف القوات الجوية الأمريكية ، وهاجمه في
منزله ، ولكن رجال السنيورا اغتالوا ذلك العميل ،
الجنرال (رالف أيدن) ، قبل أن يفصح عما لديه
بالتحديد ..

ولم يوقف هذا (أدهم) و (جيهان) ..

لقد واصلوا بحثهما ، مقتحمين مركز تدريب الطائرات
الهليكوبتر ، حتى توصلوا إلى معرفة اسم الطيار
(مايكل فريمان) ، الذي هرب بالمختطفين خارج
واشنطن ..

وتتابعت الأحداث على نحو رهيب ، وبإيقاع بالغ
السرعة والتوتر ، وخاصة عندما وصل الجنرال (جيمي
تورنسول) (*) ، وأطلق رجاله بدوره خلف (أدهم) .

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم ١٠٥ .

وعند المستشفى المركزي في (نيويورك) ، حيث
ترقد (منى) في غيبوبتها العميقة ، دار القتال واحتدم ،
بين (أدهم) و (جيهان) ، ورجال (تورنسول)
وفريق المباحث الفيدرالية ، بقيادة المفتش (دين
هاتكس) ..

وانتهى الأمر باستسلام (أدهم) وحده ، في محاولة
منه لإنقاذ (قدرى) و (منى) ..

وبعد تعرضه لمحاولة اغتيال غادرة ، تم نقل
(أدهم) إلى السجن المركزي في (نيويورك) ، في
نفس الوقت الذي تعرضت فيه (منى) للاختطاف ، على
يد أشخاص مجهولين ، على الرغم من محاولة (جيهان)
المستميتة ، لمنع حدوث هذا ..

ولم يدر (أدهم) بأمر اختطاف زميلته السابقة ،
وهو يرقد على فراش صغير ، داخل زنزانه المنفردة ،
في السجن المركزي ، واتحاد القتل بقيادة (توماس
كلارك) يسعى للتخلص منه ..

ومن أجل هذا الغرض ، فوجئ (أدهم) بزنجي ضخم
يقف خارج زنزانه ، ويبلغه تحيات السنيورا ، قبل أن
يلقى زجاجة بنزين في منتصف الزنزانة ، ويشعل
قذاحته ، ويقذفها نحو السائل المتطاير ، و ...

اشتعلت التيران (*) .

« البوابة مفتوحة يا سيادة المفتش .. »

انتزعت العبارة مفتش المباحث الفيدرالي (دين
هاتكس) من شروده ، وهو يقف أمام البوابة الداخلية
لسجن (نيويورك) المركزي ، فرفع عينيه إلى الحارس
الذي يرافقه ، وغمغم في شيء من الدهشة :
.. حقاً ؟!

تطلع إليه الحارس لحظة في حيرة ، قبل أن يتسمم
قائلاً :

- معذرة يا سيادة المفتش ، لم أقصد الاتهام أفكارك ،
ولكن البوابة مفتوحة منذ أكثر من دقيقتين ، وأنت تقف
أمامها شامداً ، وهذه هي المرة الأولى ، منذ تسلمت عملي
هنا ، في أوائل الثمانينات ، التي أرى فيها شخصاً
يرفض مغادرة السجن .. قالها ، وانطلق يتهق ضاحكاً ،
وكأنما راقت له دعابته ، في حين ظل المفتش
(هاتكس) يتطلع إليه في صمت ، وبلا أية انفعالات
تقريباً ، مما جعله يتوقف في حرج ، ويتحجج قائلاً :
.. حسن .. هل تنوى الخروج أم لا ؟

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الأخير) .. لمغامرة
رقم ١٠٦

تنهّد المفتش فى عمق ، قبل أن يجيب فى اقتضاب :
- بالتأكيد .

كان ذهنه شاردًا بالفعل ، وهو يفكر فى كل ما سمعه
عن (أدهم) ..

أمن الممكن حقًا أن يكون الجنرال (أيدن) والطيار
(فريمان) جزءًا من مؤامرة كبرى ، ترتبط بشكل
مباشر باختطاف السفير المصرى ؟

وأى نوع من المؤامرات هى ؟ ..
هل تستهدف نظام الحكم ، أم قيادات الجيش أم ماذا ؟
ولماذا اختطاف السفير المصرى بالتحديد ؟
عربدت عشرات الأسئلة فى رأسه ، فى تلك اللحظة
التي خطا فيها بقدمه اليمنى عبر البوابة الداخلية ، و ..
وفجأة ، انطلقت فى المكان صفارات إنذار قوية ،
وهتف حارس البوابة فى توتر شديد :
- رباه ! .. ماذا حدث هذه المرة ؟

انتفض جسد (هاتكس) فى عنف ، واستدار بحركة
حادة ، ليتطلع إلى مبنى السجن ، فى حين تألق مصباح
صغير أعلى البوابة ، والحارس يستظرده فى انفعال :
- اعبر البوابة بسرعة أيها المفتش ؛ فعندما تنطلق
أجهزة الإنذار ، يتم إغلاق البوابات كلها إلكترونياً ..
أسرع بالله عليك .

ولكن (هاتكس) لم يعبر البوابة ..
لقد صرخ شىء ما فى أعماقه بأن (أدهم صبرى)
وراء هذا الأمر ..

وأنه المسئول الأول عن انطلاق صفارات الإنذار فى
المكان ، بعد وصوله إليه بأقل من ساعة واحدة ..
لذا فقد تراجع المفتش الفيدرالى بحركة حادة ، وترك
البوابة تغلق أمامه ، وحارسها يهتف فى انزعاج :
- ماذا فعلت أيها التعس ؟ .. لن تفتح البوابات قط ،
قبل حسم الموقف تمامًا .

لم يلق إليه المفتش بالاً ، وهو يحدو عائداً إلى مبنى
السجن ، وانفعالاته كلها تهتف فى أعماقه :
- رباه ! .. ماذا حدث هناك ؟ ... ماذا ؟
ولكنه لم يكذب يبلغ بوابة المبنى ، حتى وجدها مغلقة
فى وجهه ، والحارس من خلفه يواصل :
- فى المرة الأخيرة ، لم يتم حسم الموقف قبل
أربعين ساعة كاملة .

صاح (هاتكس) فى الحارس الآخر ، داخل المبنى :
- ألا يمكنك فتح هذه البوابة اللعينة ؟
هز الحارس رأسه نفياً فى أسف ، مجيباً :
- لست أدرى حتى كيف يتم هذا .

اتسعت عينا (هاتكس) فى هلع ، وتراجع خطوتين ،
وهو يرفع رأسه ليتطلع إلى شبابيك المبنى ، ذات
القضبان الفولاذية السمكية ، ويكرّر .

.. ولكن ماذا حدث ؟! .. ماذا حدث ؟!

ولكنه لم يتلق جواباً لسؤاله فى ذلك الحين ..
قط .

* * *

تألفت عينا القاتل المحترف (تشارلز دار) على نحو
عجيب ، وكادت أصابعه تعتصر مقبض مسدسه ، وهو
يقول فى حماس :

.. يبدو أن رجالنا قد نجحوا فى مهمتهم يا (توم) .
أدار (توماس كلارك) عينيه إليه فى لهفة ، قائلاً :
.. حقاً ؟ ! .. هل أبلغك (جاكسون) بأمر ما ؟
أوما (تشارلز) برأسه إيجاباً ، فى بضع مثير ، قبل
أن يجيب :

.. نعم .. صفارات الإنذار انطلقت فى المسجن المركزى .

انتقل التالى إلى عين (توماس) ، وهو يهتف :

.. صفارات الإنذار ؟ ! .. هذا يعنى بالفعل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، وتراجع تألقه ،

وهو يستكرك :

.. ولكن أليس من المحتمل أن الصفارات قد انطلقت
لأمر آخر ؟

قال (تشارلز) فى دهشة :

.. أى أمر ؟

بدا الشك على ملامحه ، وهو يجيب فى تردد :

.. ألم تقرأ مثلى ملف ذلك الرجل ؟! .. ألم تقرأ كيف
نجا من الموت عشرات المرات ، بعد أن تصور الجميع
أنه ميت لا محالة ؟ .. هل نسيت كيف امتلأت نفوسنا
بالدهشة والإبههار ، من الوسائل التى استخدمها
لينجو ؟ .. كلاً يا رجل ، لا ينبغي أن نفتتح بنجاح
العصية ، قبل أن نتيقن من مصرعه بالفعل .

زفر (تشارلز) فى توتر ، قبل أن يقلب كفيه ، قائلاً :
.. فليكن .. إنك لا تطلب المستحيل .. سأجرى اتصالاً
برجلنا فى المسجن المركزى ، وأسأله عما أصاب الرجل
هناك .

أوما (توماس) برأسه موافقاً ، وهو يغمغم فى
توتر ملحوظ :

.. نعم .. هذا أفضل .

التقط (تشارلز) سماعة الهاتف ، وهم بضبط
أزراره ، عندما لاحظ ذلك التعبير العجيب ، على وجه
(توماس) ، فسأله فى دهشة :

تطلع إليه (توماس) لحظة في صمت ، قبل أن يمسح شفتيه ، ويهز كتفيه ، مجيباً :
- لست أدري .. الموقف كله يبدو لي عجيبي ، وهناك شيء ما ، لا يمكنني فهمه جيداً .

بدت الحيرة على وجه (تشارلز) ، وهو يقول :
- شيء مثل ماذا ؟

تنهد ، وهز رأسه ، قبل أن يجيب :
- لا يمكنني أن أستوعب في سهولة ، أن الرجل الذي دوخ أعظم أجهزة المخابرات في العالم ، يمكن أن يموت بهذه السهولة !

ابتسم (تشارلز) في سخرية ، قائلاً :
- لكل جواد كبوة .

صمت (توماس) لحظة أخرى ، قبل أن يتعمد :
- هذا صحيح .

لم تكن كلماته تحمل ذرة واحدة من الثقة ، حتى أن (تشارلز) ظل يتطلع إليه في دهشة لدقيقة كاملة ، وهو يسأل نفسه عما أصاب ذلك المحترف ، الذي استطاع تكوين أول اتحاد للقتلة المحترفين في العالم ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

- فليكن .. الأمر يمكن حسسه بمحادثة واحدة .

وضغطت سبابته أزرار الهاتف في سرعة ، والتقى حاجباه في جدية واهتمام ، وهو يستمع إلى الرنين على الجانب الآخر ، قبل أن يسمع صوت محدثه ، فقال بسرعة وحزم :

- أنا (تشارلز) .. (تشارلز دار) .. ماذا حدث عندكم بالضبط ؟ ..

لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستمع جيداً ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة منفعلة ، ويقول :
- عظيم .. عظيم .. هذا ما توقعته ..

وأنهى المحادثة على الفور ، وهو يلتفت بابتسامته إلى (توماس) الذي سألته في لهفة :

- لماذا انطلقت صفارات الإنذار ؟

اتسعت ابتسامته (تشارلز) ، وحملت قدراً هائلاً من الثقة والظفر ، وهو يجيب في حماس :

- بسبب حادث فريد من نوعه .. لقد اشتعلت النيران في أحد المساجين ، والتهمة أسننتها داخل الزنزانة حتى الموت .

وهنا تألقت عيننا (توماس) بهريق قوى ، كاد يضيء الحجرة كلها ..

فهذا الخبر يحسم الأمر بالفعل ..

بحسبه تماماً .

٢ - سم الأنفى ..

« باللبشاعة !... » .

غمغم مدير سجن (نيويورك) المركزى بالكلمة فى امتعاض وتوتر ، وهو يشيح بوجهه عن مشهد تلك الجثة المتفحمة ، وسط الزنزانة الانفرادية الصغيرة ، التى التهمت التيران محتوياتها المحدودة ، وزفر فى ضيق واضح ، قبل أن يسأل حارس المكان فى حدة :
- كيف حدث هذا ؟

ارتسم مزيج من الارتباك والتوتر على وجه الحارس ، وهو يجيب مضطرباً :
- لست أدري بامسيادة المدير ... أقسم لك إننى لست أدري .. يبدو أن .. قاطعه المدير غاضباً :
- يبدو أن ماذا يا رجل ؟ ! .. أأست المسئول عن هذا الطابق بأكمله ؟! .. أليس من المفترض أن تغلق الزنازين على الجميع ، فى الموعد المحدود ؟! .. كيف يمكن أن يحدث هذا إذن ؟! إنه إهمال .. إهمال بشع .

أتاه صوت يقول فى هدوء :

- أو تواطؤ .

التفت المدير إلى صاحب الصوت فى حركة حادة .
قائلاً :

- ماذا تعنى بقولك هذا ؟ .. هل تدرك طبيعة هذا الاتهام الخطير ؟

أجابه الرجل فى لهجة تحمل نبرة سخرية واضحة :
- بل أسأل نفسى .. كيف يمكن أن ينتقل شخص ما من زنزانة إلى أخرى ، دون أن يشعر به حارس الطابق ؟

اتعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يلتفت إلى الحارس ، قائلاً :

- نعم .. كيف يمكن هذا ؟

شحب وجه الحارس ، واضطرب أكثر ، وهو يقول :
- الواقع بامسيادة المدير أن أن ...
قاطعه صاحب الصوت فى سخرية :

- الواقع أن مبلغ الرشوة كان يكفى لإغماض عينيك ، وتجاهل ما يحدث .. بل والمعاونة فى حدوثه أيضاً ، وإن لم تأت الرياح بما تشتهى .

ازداد شحوب وجه الحارس ، حتى كاد ينافس الجدران البيضاء ، وبدأ اضطرابه وكأنه وثيقة إدانة لا يتطرق إليها الشك ، فهتف المدير فى سخط :

- اللعنة ! . هذا المسجن يحتاج إلى إعادة تقييم ،
وإلى تحقيقات واسعة النطاق ؛ لإعادة الأمور إلى
نصابها فيه .

ثم التفت إلى ذلك الساخر ، مستطردًا في حدة :
- أما أنت ، فسأجرى التحقيق معك بنفسى . لأعلم
كيف أمكنك أن تغادر زنزانتك ، ليلقى (هالك جونز)
مصرعه حرقًا فيها .

ابتسم (أدهم صبرى) فى سخريه ، وهو يهز كتفيه ،
قائلًا :

- ربما حدث هذا بوساطة (دافيد كوبر فيلد) (*)

صاح المدير فى غضب :

- كف عن سخريتك هذه . إبنى أستطيع اتهامك
بإلقتل العمد ، وهذا يكفى لإلقالك خلف القضبان مدى
الحياة .

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلًا :

(*) (دافيد كوبر فيلد) ساحر أمريكى مشهور ، اطلق عليه لقب

«دب» (منهر القرون العشرين) ، بسبب أعماله المذهشة ، التى عجز

الحبراء عن تفسيرها حتى الآن ، فقد نجح فى الفرار من سجن (مسج

مسج) المشهور ، وحمور سور الصين العظيم ، وإخفاء تمثال الحرية

- فى هذه الحالة سيكون عليك أن تشرح للجميع
كيف غادرت زنزانتى ، وكيف غادر (هالك جونز) هذا
زنزانتة ، ثم ما الذى أتى بالنيران إلى زنزانتى ، والأهم
هو أنه ما دام بمقدورى أن أفعل كل هذا ، فلماذا لم
أشعل النيران فى الرجل فى زنزانتة ، ثم أعود إلى
زنزانتى متظاهرا بالبراءة ؟ .. ولماذا تجشمت كل هذا
الجهد لإحضاره إلى زنزانتى ، وإشعال النيران فيه ؟ ! .
حاول أن تبحث عن الأجوبة ، لأننى سأثير العشرات من
التساؤلات حتما ، عندما تتم محاكمتى

احتقن وجهه المدير ، وعرض شفته السفلى فى
غيط ، ثم سأل فى عصبية :

- فليكن .. اشرح أنت لى ما حدث ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- وأفسد متعة البحث ؟ !

صرخ المدير ثائرا :

- فليخبرنى أحد إذن ماذا حدث هنا ؟ ماذا حدث

أيها الملاعين ؟ .. ماذا حدث ؟

تردد سؤاله فى المكان طويلا ، دون أن يفتح سجين

واحد شفتيه ، ليمنحه جوابا شافيا .

او بمعنى أدق ، دون أن يجزق واحد منهم على
منحه الجواب ..
أى واحد ..

* * *

منذ اللحظة الأولى ، التى التقط فيها أنف (أدهم)
رائحة البنزين ، التى انتشرت فى زنزانته ، أدرك على
الفور ما يزمع الزنجى الضخم فعله ، فتعلقت عيناه بيد
الرجل ، وهو يشعل قداحته ، ويقول بضحكة وحشية
عالية :

.. السنيورا ترسل إليك تحياتها تحياتها الأخيرة
وهتف به :

.. أيها الوغد الحقير .

ولكن الزنجى ألقى القداحة المشتعلة ، فوق بقعة
البنزين الكبيرة فى منتصف الزبانة المغلقة ، و
وتحرك (أدهم) بسرعة مذهشة كعادته
لقد وثب إلى الامام بخفة نادرة ، والتقط القداحة
المشتعلة بأصابعه ، قبل أن تسقط فوق البنزين ،
واحتدل قائلاً :

.. معدرة أيها الوغد تحيات السنيورا لم تصل
ثم انقذها نحو (هالك جونز) ، مستطرداً فى سخرية :

.. لذا فهي ترة إلى المرسل .

تراجع الزنجى الضخم ، وهو يطلق شهقة دهشة
قوية ، ولكن القداحة المشتعلة ارتطمت ب صدره ،
وسقطت على قميصه ..

واشتعلت النيران ..

اشتعلت فى واجهة قميصه ، فصرخ مذعوراً ، وراح
يضربها براحتيه فى قسوة ، حتى انطفأت ، بعد أن
التهمت جزءاً من شعر صدره العزير ، وألهبت باطن
راحتيه وأطراف أصابعه ..

وفى غضب هائل ، هتف (جونز) :

.. كيف تجرؤ ؟

اتعقد حاجباً (أدهم) فى صرامة ، وهو يجيبه :

.. فى المرة القادمة سأشعل النار فى أنفك الضخم
أيها الدب الغبى .

اشتعلت نيران الغضب فى عيني (هالك جونز) .
وتأجحت بأكثر مما فعلت النيران الحقيقية ، وهو
يصرخ :

.. إذن فقد جرؤت .. جرؤت على إهانة (جونز) ..

(هالك جونز) ، الذى يهايه الجميع هنا .. لقد قضيت
على نفسك يا رجل .. سأطحن كل عظمة من عظامك ،

قبل أن أشعل فيك النار .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- أراهن على أنه سيكون مشهدا طريفا للغاية

احتقت عينا الزنجى العملاق ، وثارت ثائرتة ، غير

مصدق أن أحدا يجروا على السخرية منه على هذا

النحو المسافر ، وهو الذى يرهب السجن كله بنظرة

واحدة ، فصرخ فى حارس الطابق :

- افتح زنزاة هذا الصفيق يا (داون) .

اتسعت عينا الحارس ، وهو يقول مذعورا :

- افتحها ؟! .. ولكن يا (جونز) ..

قاطعة العملاق صارخا :

- قلت لك افتحها يا رجل .. إنك تتقاضى منى مبلغا

باهظا ، لتطيع أوامرى . أليس كذلك ؟

احتقن وجه الحارس ، وارتبك بشدة ، وهو يتلفت

حوله ، بعد أن فضح (جونز) أمره على الملأ هكذا .

وأسرع بضغط ذلك الزر ، الذى يفتح رتاج باب زنزاة

(أدهم) ، من حجرة المراقبة ، قبل أن يبلغ صوت

(جونز) الثائر مسامع المسئولين ، ويحدث مالا محمد

عقباه .

وما إن انفتح باب الزنزاة ، حتى ضم (هالك جونز)

قبضتيه ، واتفع نحو (أدهم) ، صارخا :

- الآن استدفع الثمن أيها المغرور .

كان حجمه يفوق حجم (أدهم) بمررة ونصف المرة

على الأقل ، ولقد هوى على فك هذا الأخير بقبضته ،

التي اعتاد التسلى بتحطيم الأحجار بها ، فى مساحة

السجن كل صباح ، إلا أن (أدهم) انحنى فى خفة ،

وتفادى النكمة ببساطة مذهشة ، فضربت قبضة (جونز)

الهواء ، واختل توازنه ، فمال إلى الأمام ، لتستقبله

لكمة كانتقبله فى معدته ، مع صوت (أدهم) الساخر .

وهو يقول :

- إلى أين أيها الفيل الجامح ؟ !

شهق (جونز) ، واتشى فى ألم ، من عنف النكمة ،

ولكن (أدهم) أجبره على الاعتدال ثانية ، مع لكمة

ساحقة فى أنفه ، ألقت به خارج الزنزاة ، ليرتطم بالجدار

المقابل لها فى عنف .

واحتبست أنفاس المساجين الآخرين ، الذين رأوا

المشهد من زنازينهم ، وخفقت قلوبهم فى عنف ، مع تلك

الصرخة الغاضبة الساخرة ، التي أطلقها (هالك جونز) ،

وهو يهبط واقفا على قدميه ، وينقض مرة أخرى على

(أدهم) ، وينتزع من الأرض بيديه القويتين ، ثم

يوصل الاندفاع ، حتى يضرب به الجدار في قوة
وكانت الضربة قوية بالفعل ، حتى لقد صرخت كل
عظمة في ظهر (أدهم) ألما ، إلا أن رجل المخابرات
المحترف قتل تلك الصرخة في أعماقه ، ورفع ركبته
في قوة وسرعة ، ليضرب بها فك (جونز) ، في نفس
اللحظة التي هوى فيها بقبضتيه المضمومتين على
رأسه .

وتلقى الصلّاق الضربة المزدوجة ، فارتطمت أسنانه
بعضها ببعض ، ودارت عيناه في محجريهما ، وهو
يتراجع مترنحا ، لدفع (أدهم) قدميه إلى الخلف ،
وضرب بهما الجدار في قوة ، ليندفع مع جسد غريمه
عبر باب الزنزانية إلى الخارج ، ثم هبط بهما في سرعة
مدهشة وثني ركبتيه ، ليفوص بهما في معدة (جونز) ،
الذي أطلق خوارا عجبيا هذه المرة ، وإن لم يفتت جسد
(أدهم) لهذا ، وهو يصرخ :

— لقد جرؤت .. لقد جرؤت .

حذق الجميع ذاهلين في (أدهم) ، الذي أمسك كتفي
الصلّاق في قوة ، ثم دفع قدميه في معدته ، وهو يقول :

— ألم تنبيه إلى هذا بعد ؟

قالها ، وجذب خصمه في قوة ، فمال الاثنان معا .

بحيث سقط (أدهم) بظهره على الأرض ، ولكنه لم يك
يلمسها ، حتى فرد قدميه في سرعة وقوة ، ودفع جسد
الصلّاق في الهواء ، لينقيه خلفه في عنف
وارتطم جسد (هالك جونز) بقضبان زنزانه (أدهم)
واتطلقت منه صرخة ألم غاضبة عنيفة ، وهو ينهض
هاتفا :

— سأفكك أيها الأسطورة .. سأسحقك سحقا .

وحاول أن ينقض مرة أخرى على (أدهم) ، الذي
وثب واقفا على قدميه في خفة ، واتحنى ليتفادى لكمة
قوية ، وجهها إليه (جونز) ، ثم اعتدل في مرونة
وقوة ، وهوى بقبضته على فك هذا الأخير ، قائلا :

— ألم تنبيه إلى أنك تتحدث كثيرا أيها الونعد ؟

ثم كال له أخرى بيسراه ، مضيفا :

— ثم لا تفعل شيئا .

تراجع (جونز) مع النكمتين ، حتى تجاوز باب
زنزانية (أدهم) المفتوحة ، فوثب بطلنا يتعلق بحاجز
الزنزانية العلوى ، ويضرب غريمه بقدميه ، مستطردا :

— أم أنك لا تستطيع أن تفعل شيئا ؟

سقط (هالك جونز) في منتصف الزنزانية في عنف ،
وسط بقعة البنزين الكبيرة ، فتناثر المسائل الوردي في

كل مكان وعادت رائحته تنتشر في المكان ، ولكن
الزنجي العملاق هب واقفا ، وصرخ ، وقد بلغت ثورته
أوجها :

- ستدفع الثمن .. ستدفع الثمن ..

قائها ، وهو يلوح بقبضته في غضب وعنف ،
فارتطمت بالمصباح الكهربى ، في سقف الزنزانة ،
وتحطم المصباح بدوى مكتوم ، وفقرت منه شرارة
كهربية ..

وانتظت بقعة البنزين تلك الشرارة ، في شراة
عجبية ، و

واشتعلت النيران ..

وفي هذه المرة ، اشتعلت في ذلك البنزين ، الذى
غمر قميص (هالك جونز) أيضا ..

وفي لحظة واحدة ، وربما أقل ، استحال الزنجي
العملاق إلى كتلة من اللهب ، تنطلق منها صرخات ألم
وذعر هائلة ..

وانتفضت أجساد الجميع ، مع ذلك التطور المفزع ،
وصاح (أدهم) :

- يا إلهى ! الرجل يشتعل .. أين أسطوانات
الإطفاء ؟



سقط (هالك جونز) في منتصف بربراه في عنف ، ومط

بقعة البنزين الكبيرة ..

ولكن الذعر الذى أصاب الحارس (داوون) كان أضخم من أن يسمع لعقله وتفكيره بالعمل ، فى مثل هذه الظروف .

لقد استقر فى ذهنه أن هذا التطور سيؤدى إلى اكتشاف أمره ، وتعرض مستقبله كله للخطر ، فاندفع يضغط زر إغلاق الزنزاة على نحو غريزى ، يفتقر إلى الحكمة وحسن التدبير ، ويده الأخرى تضغط زر صفارات الإنذار ..

واتطلقت صفارات الإنذار فى السجن كله ، وباب زنزاة (أدهم) يخلق على (هالك جونز) ، وألسنة اللهب تلتهمه بلا هوادة .. وبلا رحمة ..

ونسى (داوون) أن (أدهم) مازال خارج الزنزاة ، وأن الموقف قد صار أكثر خطورة . أكثر بكثير .

لم يكد رنين الهاتف يرتفع ، بالقرب من حوض السباحة ، فى قصر السنيورا ، حتى اختطف يدها سماعته فى لهفة ، وقالت ، قبل أن تسمع حتى صوت محادثتها :

- ما الاخبار ؟

واشعلت سيجارتها فى عصبية ، عندما أتاها صوت (توماس) ، قائلاً :

- إنه أنا يا سنيورا .. (توماس) . لقد تلقينا تأكيداً من السجن المركزى . المهمة انتهت بنجاح . خفق قلبها فى عنف ، حتى كاد يثب من صدرها ، واحتبست الكلمات فى صدرها بضع لحظات ، مع دخان سيجارتها ، ثم انطلقت تسعل فى عنف ، قبل أن تقول فى صوت شديد التوتر والاضطراب :

- حقاً ؟

لم تكذ تنطقها ، حتى شعرت بالحق من نفسها . لأنها أظهرت انفعالها على هذا النحو . فسعلت عمداً مرة أخرى ، وقالت محتدة :

- بالنسيجارة النعينة ! سأصر فى المستقبل على استخدام سجايرى الخاصة وحدها .

غمغم (توماس) :

- كل السجاير تفعل هذا بالصدور .

سألته متظاهرة بالرصانة :

- وكيف تمت المهمة ؟

أجابها فى ظفر وارتياح :

- رجلنا فى السجن أشعل فيه النيران داخل زنزاقته ،
فالتهمته حتى الموت .

أدهشه ذلك الصمت المطبق ، الذى استقبلت به
عباراته ، فقال فى قلق :

- هل تسمعيننى يا سنيورا ؟

كانت تسمعه جيدا ، ولكن شيئا ما كان يعقد لسانها
ويسد حلقها ، بعد سماعها التأكيد على مصرع (أدهم)
لم يكن من السهل عليها أبدا أن تتصور أن الصراع
قد انتهى على هذا النحو .
ولا بهذه السرعة .

لم تكن تتخيل أنه يمكن أن تأتى نهاية (أدهم
صبرى) الأسطورى على هذا النحو .
أن يقضى نحبه محترقا ، داخل زنزاقته مغلقة ، كـأى
فأر حقير ..

لم تكن تتخيل هذا أبدا .

إنها حتى لم تكلف باستئجار قاتل محترف واحد ، أو
إطلاق رجالها خلف (أدهم) ، أو حتى إثارة السلطات
الأمريكية ضده ..

لقد تحركت فى كل المحاور فى آن واحد ..

واستأجرت فريقا كاملا من القتل المحترفين ..

وعلى الرغم من هذا ، لم تتوقع أبدا أن ينتهى
الصراع هكذا ..
أبدا ..

وطال صمتها وشرودها أكثر ، حتى أن مساعدتها
نفسها تجرات على هز يدها قائلة :

- سنيورا .. أنت مستيقظة ؟

انتفض جسدها فى عنف ، وهتفت بها محتدة ،
وكأنها تفرغ فيها كل انفعالاتها :

- بالطبع .. ألا تريننى جالسة أمامك ؟

سمع (توماس) هتافها ، فتنهد فى ارتياح ، قائلا :

- يسعدنى كثيرا أن تعاوننا الأول كان مثمرا ناجحا
يا سنيورا ، ومعذرة لو أننى سأذكرك بمبلغ الـ .

قاطعته شهقة عذبة ، جعلته يبعد السماعة عن أذنه

فى دهشة ، قبل أن تصرخ السنيورا عبرها :

- وتقول : إنك قد حصلت على تأكيد من السجن أيتها

الغبي ؟

تضاعفت دهشته مع قولها ، فقال :

- بالطبع يا سنيورا .. لقد ..

قاطعته نائرة :

- افتح (التليفزيون) إذن ، وألق نظرة على (السى .

٣٥

إن إن (أيها الأحق) وبعدها فكر وتأكد جيدا ، قبل أن تبلغنى بأى أمر .. هل تفهم ؟

قالتها ، وأغلقت الهاتف فى وجهه بعنف . فاستمعت عيناه بدهشة بالغة ، وهو يحدق فى سماعة هاتفه ، ثم أعادها إلى موضعها بحركة حادة ، وتدفع يشعل (القليفرزون) ، وهو يغتم :

- ترى ما الذى تذيعه (السى إن . إن) . والذى أغضبها على هذا النحو ؟!

ولكنه لم يكد يلقي نظرة على تلك القناة الإخبارية الشهيرة . حتى انعقد حاجباه فى شدة . وتفجر فى أعماقه فيض من الدهشة والغضب والحنق والاستنكار ، فلقد كانت القناة تذيع محادثة هاتفية ، تمت بين كبير مذييعها . ومدير سجن (نيويورك) المركزى

محادثة تعلن اسم المسجين ، الذى احترق داخل زنزاة مغلقة ..

اسم (هالك جونز) ..

وثانية أو ثانيتين . حدق (توماس) فى شاشة فى دهول ، قبل أن يصرخ فى ثورة :

- اللعنة اللعنة اللعنة ' .. (تشارلز) أين أنت يا (تشارلز) ؟

اندفع إليه زميله (تشارلز دار) . هاتفًا :
- ماذا حدث ؟

صرخ (توماس) :

- الهدف لم يلق مصرعه .. رجلنا هو الذى احترق داخل الزنزاة .

هتف (تشارلز) فى ذعر وانزعاج :

- (هالك) ؟ .. كيف حدث هذا ؟

أجاب (توماس) فى حدة :

- ليس المهم هو كيف حدث هذا . المهم هو أن المهمة لم تنته بعد . ومن العار أن يفشل اتحاد القتلة . فيما يمكن أن ينجح فيه قاتل محترف واحد . هذا الرجل ينبغي أن يموت يا (تشارلز) . هل تفهم ؟ .. ينبغي أن يموت .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة وغضب شديد ، وهو يستطرد :

- وبأى ثمن .

وفى نفس اللحظة . التى نطق فيها هذه العبارة ، كانت السنيورا تشب فى حوض السباحة الكبير ، وتغوص فى مياهه الباردة ، وتسبح فى أعماقه لحظات ، قبل أن تصعد إلى السطح ، وتلتقط نفسا عميقا من الهواء النقي ..

كانت تتمنى أن تطفئ المياه تلك النيران المستعرة
في أعماقها . بعدما عرفت أن (أدهم) قد نجا من
محاولة قتله في السجن ..
ولكن هذا لم يحدث ..

لقد شعرت ، على الرغم من برودة المياه ، وكأنها
تسبح وسط بركان ثائر ، يموج بالحمم والنيران
والصخور المنتهبة ، التي طفت من مشاعرها إلى
السطح ، وكادت تقتلها بلا رحمة .

وفي حلق ، غادرت حوض السباحة ، والتقطت
منشفة عريضة ، راحت تجفف بها جسدها ، قبل أن
تلقيه فوق مقعد عريض ، وتقول في سخط :

- هؤلاء الأغبياء يتصورون أنهم أبرع فريق
للمحترفين ، ثم يفشلون في القضاء على رجل واحد .
غمفت مساعدتها في حذر :

- ولكنه ليس مجرد رجل عادي .
اتخذ حاجبا السنيورا في غضب ، وهي تقول :
- ولو المهم أنه رجل واحد ، وسجين أيضا .
ثم لوحت بذراعها ، مستطردة في حدة :

- ماذا سيفعلون معه إذن ، لو خرج من السجن ،
وقاتلهم في الهواء ؟!

ترددت المساعدة لحظة ، ثم قالت :

- ولكنك قلت أن تاريخه حافل بمحاولات الاغتيال .
التي نجا منها كلها ببراعة منقطعة النظير
هتفت السنيورا :

- وبحظ مدهش يجعلني أتصور أن القدر نفسه يعمل
إلى جانبه .

قالت المساعدة في خفوت :

- ولكن من الواضح أنه بارع وذكي أيضا

لوحت السنيورا بمسأبتها ، قائلة :

- لا يمكنني إنكار هذا ولكنني أستطيع فهم ما يرمى
إليه .. لقد استسلم ليحمى صديقه ، والفتاة التي يحب
والتي ترقد فاقدة الوعي منذ فترة ، في المستشفى
المركزي .

ثم استعادت ابتسامتها الساخرة ، وهي تضيف :

- ولكنني سأفقد خطته هذه .

سألته المساعدة في اهتمام :

- كيف ؟

هزت كتفها ، وهي تشعل سيجارة أخرى ، قائلة
بابتسامة غامضة خبيثة :

- سترين .

لم تكذ تنطقها ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقطت
سماعته بمرعة ، قائلة :

.. من المتحدث ؟

أناها صوت هادي ، يقول في ثقة :

.. المهمة جدت .. سخماعة لدينا . وسنحتفظ بها

حتى نتلقى أوامر أخرى .

برفت عينا السنيورا في شدة ، وهي تقول :

.. رائع . تخلص من سيارة الإسعاف . ومن كل أثر

يمكن أن يقود اليكم . هذه الفتاة هي أفضل ورقة

حصلنا عليها حتى الآن .. استدع الدكتور (أرنولد)

لرعايتها . واخبره أنني أريد المحافظة عليها في حالة

جيدة . مهما كانت التفقات .. هل تفهم ؟

وأنهت المحادثة . وقد استعادت كل مرحها وثقتها

وتفاؤلها ، فسألها مساعدتها في لهفة :

.. هل الفتاة هامة إلى هذا الحد بالفعل ؟

تظنعت إليها السنيورا لحظة قبل أن تقول :

.. هذه الفتاة هي الشخص الوحيد . في العالم أجمع .

الذي لن يتردد (أدهم صبرى) في أن يفتديه بحياته

صدقيني .. عندما حصلنا عليها ، فكأنما حصلنا على

نصف النصر .. بل على النصر كله .

قالتها ، وانطلقت من أعماق أعماقها ضحكة قوية

مجلجلة

ضحكة تحمل كل الثقة

وكل الظفر .

٣ - السجن ..

ران الصمت التام على حجرة المقابلات الخاصة ، في

سجن (نيويورك) المركزي ، ووقف المفتش (هاتكس)

جامدا كتمشاش من الشمع ، يتطلع إلى (أدهم) الذي

ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة . لا تخنو من لمحة

ساخرة . وهو يتطلع إليه بدوره . قبل أن يقطع ذلك

الصمت ، قائلا في هدوء مستفز :

.. هل سنقضي يوما كله محدقين في بعضنا ايها

المفتش ؟

تنهد (هاتكس) ، وهز رأسه نفيا . وهو يقول :

.. كلا بالتأكيد . ولكنني أعترف بأن موقفك يدهشني

بحق . ذلك الحادث يشير في وضوح إلى أنك مستهدف

دخل السجن . وعلى الرغم من هذا ، فما زلت تبسم

في هدوء وسحرية !! . ألا تعنيك حياتك يا رجل . أم

أنت تعمدت الدخول إلى السجن . لالتحار بأسلوب جديد ؟

هز (أدهم) كتفيه . وحافظ على ابتسامته ، قائلا :

.. يمكنك أن تقول إنني اعتدت كوني مستهدفا من

العديدين .

سأله (هاتكس) بسرعة :

- مثل من ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم اتسعت ابتسامته ، وهو

يجيب :

- بعض المنافسين .

سأل (هاتكس) في اهتمام حقيقى :

- أى نوع من المنافسين ؟ وفى أى مجال ؟ ..

أجاب (أدهم) فى هدوء :

- المنافسون التقليديون ، فى مجال العمل

هــ (هاتكس) رأسه ، وقال :

- اه .. من الطبيعى إذن أن يقودنا هذا إلى السؤال

عن طبيعة هذا العمل .

تطنّع إليه (أدهم) لحظة ، قبل أن يسأله فى جدية :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها المفتش ؟

أجابه (هاتكس) فى عصبية :

- إلى اعتراف بأتك رجل مخابرات مصرى .

استعاد (أدهم) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

- وهل تعتقد أنه من المحتمل أن تحصل على اعتراف

كهذا ؟

اندفع (هاتكس) نحو المنضدة ، التى يجلس خلفها

(أدهم) . وضرب سطحها بقبضته فى عنف ، صالحا :

- أنا واثق من هذا .. واثق من أنك رجل مخابرات

مصرى ، على الرغم من جواز السفر المكسيكى اللعين

الذى تحمله ، باسم (أميجو صاندو) .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- ولكن جواز السفر رسمى وحقيقى أيها المفتش .

ولو أنك أجريت تحرياتك الرسمية ، فستأكد من أننى

أحمل الجنسية المكسيكية ، وأننى كنت أحيأ فى (كيو اوا)

لفترة ما (*) .

حدق (هاتكس) فى وجهه لحظة بغضب ، ثم تراجع

فى حركة حادة ، لوضع بذراعه كلها ، وهو يقول :

- أنتظن أننى لم أفعل ؟ ! .. إنه أول شيء فعلته .

بعدما ألقينا القبض عليك ، وعلى الرغم من النتائج

الإيجابية ، التى حصلنا عليها ، إلا أننى واثق من أنك

لست مكسيكيا ، حتى ولو حملت ألف جواز مكسيكى

رسمى .. لقد عملت فى بداية حياتى فى شرطة الحدود ،

حيث يسعى منات المكسيكيين للتسلل إلى (أمريكا)

يوميًا ، وأستطيع أن أزعم أننى أعرف المكسيكيين فور

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) المغامرة رقم ٨٤

رويتهم بل ويمكنني أن اشم رائحتهم ايضا . من
مسافة عدة أميال .

عاد الصمت ينفقهما نبض لحظات . بعد ان انتهى
(هاتكس) من قوله . وكل منهما يتطنع الى الآخر .
قبل أن يقول (أدهم) :

- لماذا عدت أيها المفتش ؟

زفر (هاتكس) ، ولوح بيده ، قائلا في سخرية
عصبية :

- كنت أحاول انقاذك . تصورت ان اطلاق صفارات
الإنذار يعني أنك تواجه خطرا ما . وحاولت انقاذك
سأله (أدهم) في اهتمام واضح :

- لماذا ؟

صمت (هاتكس) . وارتسمت على وجهه امارات
الدهشة . كما لو انه هو غت بالسؤال ، ثم لم تلبث
دهشته أن تحولت الى شيء من الحيرة وهو يتطنع إلى
(أدهم) ، قبل أن يجيب في صوت خافت .

- لست ادري . ربما لأنني اعتقدت أنك لا تستحق
الموت في مكان كهذا ، أو ..

بتر عبارته بفتة ، فسأله (أدهم) :

- أو ماذا ؟

رمقه (هاتكس) بنظرة حادة ، قبل أن يجيب في
صرامة :

- أو أتى خشيت أن يضيق مني جزء كبير من
الحقيقة بموتك .

ران عليهما الصمت بضغ لحظات ، بعد عبارته هذه
، قبل أن يقول (أدهم) :

- هل تريد نصيحتي أيها المفتش ؟

اندفع (هاتكس) ، قائلا في حماس :

- بالتأكيد .

أشار (أدهم) بيده ، قائلا :

- لا تهدر وقتك في التصارع معي .

بدت الدهشة على وجه المفتش الفيدرالي . و (أدهم)

يميل إلى الأمام ، مستطردا في حزم :

- دعنا نتعاون معا : للوصول إلى الحقيقة

اتعقد حاجبا (هاتكس) ، ولوح بيده كنهيا ، وهو

يقول في حدة :

- ومن الذي يرفض التعاون ؟ هه . من الذي

يرفض الافصاح بما لديه . ويصر على البقاء داخل

دائرة من الغموض والأسرار ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

- التعاون لا يحتم كشف الأوراق كلها
صاح (هاتكس) :

- من وجهة نظرك وحيدك .

كان من الممكن أن تستخدم المناقشة بينهما ، حول
هذه النقطة ، لولا أن اقتحم أحد حراس السجن
الحجرة ، في هذه اللحظة ، قائلاً :

- هل حدث أمر ما يا سيادة المفتش ؟

زفر (هاتكس) في عصبية ، وهو يجيبه

- كلاً .. إنه مجرد نقاش عادي .

نقل الحارس بصره بينهما لحظة ، ثم مال نحو
(هاتكس) ، قائلاً :

- على أية حال ، لدى ما أبلغك به ياسيادة المفتش

إشارة عاجلة ، وردت الآن فقط .

وانحنى يهمس في أذنه ببضع كلمات ، لم يكده

(هاتكس) بسمعه ، حتى اتسعت عيناه في شدة ،

وأطل الانفعال في كل ذرة في وجهه . قبل أن يسأله في

اهتمام متوتر :

- ومتى حدث هذا !

اعتدل الحارس مجيباً :

- منذ ما يقرب من ساعة واحدة .

انتقل قلبه وتوتره إلى (أدهم) ، الذي أيقن من
نظرة (هاتكس) إليه ، أن الأمر يتعلق به على نحو أو
آخر ، فسأل مباشرة :

- ما الذي حدث أيها المفتش :

تطلع إليه المفتش لحظة في صمت ، وبدأ وكأنه
يتردد في الإفصاح بما لديه ، ثم لم يلبث أن حسم أمره
في سرعة ، وقال :

- لقد اختطفوا زميلتك .

سرت موجة عارمة من التوتر في جسد (أدهم) ،

وهو يهتف :

- (جيهان) ؟ !

رمقه (هاتكس) بنظرة اهتمام ، وهو يقول :

- لست أدري ما إذا كان هذا هو اسمها الحقيقي أم

ماذا ، ولكن تلك التي اختطفوها كانت تحمل لدينا اسم

(منى توفيق) ، وترقد فاقدة الوعي منذ فترة ليست

بانقصيرة ، في المستشفى المركزي ، و ..

بسر عبارته بغتة ، وخفق قلبه في عصف ، وهو

يحدث في وجه (أدهم) ، الذي لم يكده يسمع ما أصاب

(منى) ، حتى انعقد حاجباه في شدة ، واكتسى وجهه

كله بغضب هادر مكتسح ، وانقبضت كل عضلة من

عضلاته في ثورة . حتى خيل للمفتش أنه قد تحول
بغته إلى قنبلة اتزع فتيلها . وأوشكت على الانفجار
ولو أن عقل (هاتكر) قد اكتسب - للحظة واحدة -
هبة (التليباتش) (*) ، وأمكنه قراءة ما يدور في رأس
(أدهم) . لاكتسى جسده كله بخوف بلا حدود .
ولا تطلق بعدو حتى آخر عمره . خوفا من هذا الوحش
الكاثر الجالس أمامه ..

فخبر اختطاف (منى) لم يغضب (أدهم) فحسب
لقد فجر في أعماقه بركاتنا ثائرا . سألت حممه في
عروقه . واشتعلت بها عضلاته وأعصابه وأرادته
الغولانية ..

بركان أطلق فيض الطاقة من عقده

طاقة بلا حدود ..

طاقة الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

(*) التليباتش مصطلح يعنى القدرة على قراءة الأفكار . والملاحظ

عن بعد . وهي مقدرة خاصة . يتمتع بها عدد محدود من البشر . وإن

أكد العلماء وجودها في كل المحركات الحية بدرجات متفاوتة

« مستحيل ! مستحيل ! قلت لك : لن أغادر
هذا المكان قط . قبل أن تستعيدوا (منى) »
صرخ (قدرى) بالعبارة في إصرار عنيف . في وجه
(ناشد) . مندوب المخابرات العامة في (نيويورك) .
وترقرقت عينه بالدموع . وهو يستطرد في مرارة .
« ماذا سيقول (أدهم) . لو علم أنني تخليت عنها .
وأثرت سلامتي . وعدت وحدي إلى (مصر) ؟ »

قال (ناشد) في توتر :

« بل ماذا سيقول . لو عرف أنك أهدرت تضحيته بلا
مقابل . وأصررت على أن تضع أمامه العراقييل نفسها .
التي فعل كل ما فعل ليتجنبها ؟ ! »

اتهمرت دموع (قدرى) كالسيل . وهو يقول

« ولكنها (منى) (منى) . هل تفهم ما تعنيه
هذه الفتاة بالنسبة له ولي ؟ ! »

أجابه (ناشد) في هزم :

« بن كلنا نعرف ما تعنيه لك (منى توفيق) كصديقة
وزميلة . وكلنا نعرف أيضا ما تعنيه بالنسبة لـ (أدهم
صبرى) . ونست لدينا ذرة واحدة من الشك . في أن
معرفة بالخبر ستثير غضبه إلى أقصى حد ..
وتنهذ في عمق . قبل أن يضيق :

- وأنت تعرف ما يمكن أن يفعله رجل مثله ، عندما يشتعل غضبه ، فهل تحب أن تفسد عمله عندئذ .
 أغرقت الدموع وجه (قدرى) المكتظ ، وهو يقول :
 - ولكننى لا أستطيع أن ..
 قاطعه صوت أنثوى حازم :
 - ستعود إلى (مصر) يا قدرى .. الآن .
 التفت الاثنان فى حركة واحدة إلى (جيهان) ، التى وثقت بالباب ، فى زى الممرضة السمراء ، وهتف (قدرى) فى حدة :
 - وما شأنك أنت بالأمر ١٢ .. من أعطك حق إصدار الأوامر ١٣ المفترض أن تذوبى خجلاً ، بعد فشلك فى منعهم من اختطاف (منى) .
 اعتصرت عبارته قلبها فى قسوة ، ومزقت مشاعرها بلا رحمة ، حتى كادت تنفجر باكياً ، لولا أن استغفرت كل إرادتها لتتماسك ، ولتضفى شيئاً من الحزم على صوتها ، وهى تقول :
 - أهذا رأيك فى ١٤ ؟
 حملت كلماتها شيئاً من المبرارة ، التى حاولت إخفاءها ، فاتفقت حجباً (ناشد) فى ضيق ، فى حين احتقن وجه (قدرى) وهو يقول مرتبكاً :
 ٥ .

- آه .. لم أقصد هذا بالضبط ، ولكن .. أعنى أن .. اضطرب خجلاً ، فلم يستطيع إتمام عبارته ، واندفع يقول بدلاً من هذا :
 - ولكننى لن أعود إلى (مصر) أبداً ، قبل جسم الموقف .
 زفر (ناشد) مرة أخرى فى حدة ، وقال :
 - استأنه (قدرى) .. اسمع لى أن ...
 قاطعته (جيهان) بإشارة من يدها ، قائلة :
 - انتظر يا (ناشد) .
 ثم اتجهت نحو (قدرى) ، وتطلعت إلى عينيه مباشرة ، وقالت :
 - (قدرى) .. ثق بأن هذا ليس بسبب ما قلته ، ولكن ..
 وهوت على فكه بكلمة مباغته ، جحظت لها عيناه لحظة ، قبل أن يسقط فاقه الوعي على فراشه ، وهى تستطرده فى حزم :
 - ولكننى أحسم الأمر .
 هتف بها (ناشد) منزعجاً :
 - رباه ١ .. ماذا فعلت أيتها الرائدة ١ ؟
 أجابته فى حزم :

- لقد سمعتنى جيدا . اتنى احسم الأمر . هيا . قل
إنه سقط فى غيبوبة . واتم اجراءات نقله من هنا
أريد ألا يستيقظ إلا داخل الطائرة هيا

وتابعت كل الاجراءات . التى اتخذها (ناشد) . حتى
انطلقت سيرة الإسعاف بـ (قدرى) إلى مطار
(نيويورك) ، ثم تنهدت مغممة :

- سامحنى يا (قدرى) ، ولكن الموقف تعقد أكثر .
وليس من المنطقى ان اترك خلف (أدهم) نقطة ضعف
واحدة .

فألتها وافكرها كلها تتجه نحو (أدهم) . وعقها
بتسائل ..

ترى ماذا يفعل الان فى سجنه ؟ وكيف يواحه
الموقف كله ؟ ! ..

كيف ؟ ! ..

* * *

لشوان ، ران على حجرة المقابلات الخاصة . فى
سجن (نيويورك) . صمت رهيب . خفق خلاله قلب
المفتش (هاتكس) فى عصف . وهو يحدق فى وجه
(أدهم) الغضب الثائر . قبل ان يقول فى حدة .

- اسمع يا هذا . اعلم ان الحبر قد أثارك واغضبك .

ولكن لو أنك تفكر فى الفرار من هنا . فتعلم أن هذا
مستحيل . فكل زنازة لها رتاج اليكترونى خاص .
ووسائل الأمن محكمة للغاية .

وابتسم الحارس ، مضيقا فى سخرية :

- وطوال عملى هنا ، لم تتج بعوضة فى الفرار .
فوسائلك دقيقة محكمة . يستحيل معها ان يتسرب
الهواء نفسه إلى الخارج . دون تصريح مسبق . من
مدير السجن شخصيا .

تطع إليهما (أدهم) لحظة فى صمت . قبل أن يقول
فى هدوء مثير . أثار ذهولهما معا إلى أقصى حد
- حتى الان .

ارتفع حاجبا الحارس لحظة . ثم لم يلبث أن اتعقدا
فى شدة . وهو يقول فى حدة صارمة . ويده تتحرك
نحو المصنن المعلق فى حزامه :

- ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟

كان (هاتكس) يهم بقول شيء ما . الا ان هذا
الشيء تحول بفتة إلى شهقة قوية . ترامت مع تلك
الانتفاضة العنيفة . التى أصابت جسده . واتساع عينيه
المذعورتين . عندما غوى بـ (أدهم) يثب من مقعده
كأنفهد . ويهوى على فك الحارس بكعة كالقبيلة . قائلا
فى صرامة :



وثبت قدم (أدهم) تركل المسدس فى سرعة وخفة

مدهشتين ، وهو يقول : - ياله من سؤال !!

- أعنى هذا ،

تراجع (هانكس) بحركة غريزية ، واندفعت يده
تنتزع مسدسه ، من جرابه المعلق تحت إبطه ، وهو
بهتف متزعجاً :

- ماذا تفعل يا رجل ؟

وثبت قدم (أدهم) تركل المسدس فى سرعة وخفة
مدهشتين ، وهو يقول :

- ياله من سؤال !!

وقبضت أصابعه الفولاذية على معصم المفتش ،
ولوثه فى قوة ، مع استطرأته :

- ألا يبدو لك الأمر واضحاً ؟

ثم أضاف ، وهو يدمس يده فى جيب الرجل ، وينتزع
منه القيود الحديدية :

- لقد قرّر الخروج من هنا ،

هتف (هانكس) ، و (أدهم) يحيط معصميه بقيوده
خلف ظهره :

- ولكن هذا مستحيل ! . أنت مجنون لتفكر فى مثل

هذا الأمر ! .. ألا تعلم ما سيواجهك ، لو أنك بدأت

محاولة كهذه ؟

أجابه (أدهم) فى حزم مقتضب :

- بالتأكيد .

قائلها ، وهو يحل ربط عنق المفتش ، ويكتم به فمه في إحكام . قبل أن يدفعه جانباً ، وينحنى ليبدل ثيابه بثياب الحارس الفاقد الوعي ..

وفي دهشة عصبية مَوْتَرَة ، راقبه المفتش (هاتكس) . حتى انتهى من تبديل الثياب . ثم فوجئ به يفتح باب الحجرة في جرة عجيبة . ثم يضع كفيه على وجهه ، ويعدو هاتفا :

- النجدة السجين يهاجم المفتش . النجدة

واتصت عينا (هاتكس) في ذهول ..

فالصوت الذي انطلق من حلق (أدهم) . لم يكن يشبه صوته الحقيقي ، بأى حال من الأحوال لقد كان نسخة طبق الاصل . من صوت الحارس الفاقد الوعي ..

ولقد أثار هتاف (أدهم) موجة عنيفة من التوتر . جعلت الحراس جميعهم يندفعون نحو الحجرة . وكل منهم يشهر مسدسه . في حين انطلق (أدهم) نفسه في الاتجاه العكسي .

وعندما اقتحموا الحجرة . قفزت دهشة عارمة إلى عيونهم ووجوههم . وكيثهم كله . وهتف أدهم :

- ماذا حدث بامسيادة المفتش ؟

حاول (هاتكس) أن يهتف ، ويصرخ ، ويهذر ، ولكن الكمامة التي تغطي فمه منعه من هذا . فراح يقاوم قيوده في عنف ، في حين هتف حارس آخر ذاهلاً . وهو يشير إلى زميله ، الذي افقده (أدهم) وعيه :

- عجباً ! ها هوذا (كينز) من ذلك الذي هتف محفراً ابن .

كان حارس ثالث قد رفع الكمامة عن فم المفتش . في هذه اللحظة ، فهتف في ثورة .

- إته السجين أيها الأغبياء الحقوا به . الحقوا به بالله عليكم .

ارتسم الذهول على وجوههم بضع لحظات ، ثم اندفعوا خلف (أدهم) . في مزيج من العصب والسخط والتوتر . حتى أن أحدهم ثم يحاول حل القيد الحديدي من معصمي (هاتكس) . الذي راح يصرخ :

- أيها الاغبياء ! .. أيها الاغبياء :

ولم يسمعه أحدهم ..

نك انطلقوا جميعاً لمطاردة هدف واحد

هدف اتخذ قراره بتعطيم القضبان التي تحيط به كل القضبان ..

* * *

اتعقد حاجبا (توماس كلارك) فى شدة ، وهو يتطلع
إلى شاشة (التليفزيون) ، ومذيع المحطة الإخبارية
الشهيرة يقول :

- للمرة الثانية ، خلال ساعة واحدة ، تنطلق صفارات
الإنذار فى السجن المركزى ، معلنة حالة الطوارئ
القصى ، ولا أحد يدري سبب انطلاقها للمرة الثانية ،
ولكن المحللين يرجحون أن ذلك الشخص الفامض ،
المسئول عن معركة المستشفى المركزى ، وراء حدوث
هذا .

هز (تشارلز) رأسه فى عصبية ، وهو يقول :

- تبدو لى مشكلة ذلك الرجل ، وكأنها لن تنتهى أبدا .

قال (توماس) فى توتر شديد ، وهو يتابع
(التليفزيون) :

- يبدو أننا أسأتنا تقدير قدرات ذلك الرجل يا (دار) .

من الواضح أنه أكثر خطورة مما كنا نتصور

هز (تشارلز) رأسه ، قائلا :

- ملفه أنبأنا بهذا ، إلا أننا لم نصدق ما ورد به .

أشار (توماس) إلى الشاشة ، وهو يقول فى حزم :

- أراهنك على أنه يثير جنونهم هناك الآن

اتعقد حاجبا (تشارلز) لحظة ، قبل أن ترسم على

شفتيه ابتسامة ملوفا الدهاء ، وهو يقول :

- ولكنها فرصة مثالية ، لا ينبغي أن نضيعها قط

التفت إليه (توماس) ، قائلا :

- ماذا تعنى ؟

أشار بمسبأته ، وهو يقول :

- أعنى أن (أدهم) هذا يسبب الكثير من المتاعب فى
السجن الآن ، ومن الطبيعى أن يواجه مقاومة مناسبة .

ثم مال نحوه ، وغمز بعينه ، مستطردا :

- وقد تتطور هذه المقاومة إلى إطلاق النار .. للدفاع
عن النفس مثلا .

برقت عينا (توماس) ، وهو يهتف :

- آه .. فهمت .. وتكون عملية قتل قانونية ونظيفة
مئة فى المائة .

ثم التقط سماعة الهاتف ، مستطردا بابتسامة جذلة :

- ولا تحتاج لأكثر من محادثة هاتفية واحدة .

قالها ، وهو يدير الرقم الخاص برجلهم فى السجن
(بيرت) .

(آلان بيرت) مسئول أمن سجن (نيويورك)
المركزى ..

شخصيا ..

* * *

لم يكذ (أدهم) ينطلق خارج حجرة اللقاءات الخاصة
منتحلا شخصية الحارس ، حتى استقل حلة الهرج
والمرج ، التي أحدثتها صرخته المستجدة الزائفة .
وتجاوز البوابة المعدنية الأولى ، وهو يراجع ما سجلته
ذاكرته . وهو في طريقه إلى هنا لقد هبط من الطابق
الذي يضم الزنازين . إلى هذا الطابق ، ومر بحجرتي
حراسة . وحجرة مخزن المفروشات . ثم حجرة
الصيانة ..

والأخيرة هي هدفه بالتحديد ..

ففي حجرات الصيانة ، توجد عادة خرائط شاملة
للمكان

لكل مداخله ومخارجه ، وممرات التهوية ، والمياه ،
وشبكة الكهرباء . وكل ما يمكن ان يحتاج إليه في
رحلة الهرب ..

وفي نفس اللحظة ، التي كشف فيها الحراس حذوته ،
كان يدنف في حجرة الصيانة . بعد أن عالج رتبه في
سرعة ومهارة واعقبه خلفه في حكام ، واخذ يبحث
عن تلك الخرائط

وكانت نظرية سليمة تماما ..

لقد عثر بالفعل على خريطة كبيرة ، تشمل توزيع

ممرات التهوية ، وشبكة المياه والإشارة . وتوزيع
حجرات الخدمات ..

وفي اهتمام شديد ، راح (أدهم) يدرس الخريطة ،
وهو يغمغم في غضب :

- هؤلاء الاوغاد أرادوا إفساد خطتي باختطاف (منى) ،
ولكنني أقسم أن أجعلهم يندمون أشد الندم ، لمجرد أنهم
فكروا في هذا .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى سمع صوت (الان
بيروت) . مسئول أمن السجن ، وهو يهتف في الخارج :
- ابحثوا عنه في كل مكان ، وأغلقوا كل مداخل
ومخارج السجن . وغير مسموح لاي مخلوق بمقارنته
مهما كانت الأسباب هل تفهمون ؟ مهما كانت
الأسباب ..

تعالى وقع أقدام الحراس الثقيلة ، وهم يعدون في
ممرات السجن ، وسمع أحدهم يهتف :

- لا يوجد له أثر هنا . ولا يمكن أن يكون قد غادر
هذا القطاع لا ريب في أنه يستغل زى الحراس الذي
يرتديه ، ليختبئ في مكان ما هنا .

وهنا تعالى صوت آخر يقول :

- لقد لمحت حارسا عند حجرة الصيانة ، وربما ..

قل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (بيرت) بصرخ :
- اقحموا الحجرة ، وأطلقوا النار فور رؤيته ..
أريده جثة هامة . لا تحافظوا على حياته . لا أحد
يريده حياً .

اقترب وقع الأقدام من الحجرة في سرعة ، فعقد
(أدهم) حاجبيه ، مضغماً :

- هؤلاء الأوغاد يتحركون بسرعة بالفعل
قالها ، والتقط من المكان مطرقة ، ومفكاً كبيراً ،
ولفة من الحبال ، و ..

وفي الخارج ، تعالى صوت (بيرت) بصرخ :
- قلت لكم . اقحموا الحجرة .. لا تتركوا سنتيمتراً
واحداً من جسده . دون أن تخترقه رصاصاتكم . هيا .
وكان من الواضح أن الرجال لا يحتاجون لأوامره
لفعل هذا ، فغضبهم من الرجل الذي أفقد زميلهم وعييه
كان يكفيهم لتحطيم باب الحجرة ، الذي أطلقوا النار
على رتجه ، ثم اقحموه في عنف ..
وانطلقت رصاصاتهم تغمر المكان كله في غزارة ،
دون أن تغفل سنتيمتراً واحداً منه ..
أي سنتيمتر .

* * *

٤ - بلا هواة ..

ارتجفت شفتا المصور (جان زوكرمان) في تأثر ،
واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يتطلع إلى جثة
زوجته (أنجيل لوبان) ، في مشرحة ذلك المستشفى
المكسرى الصغير ، والمفتش المكسيكى (بابلو) يسأله .
- أهذه جثة زوجتك يا سينور (زوكرمان) ؟

أوما الرجل برأسه إيجاباً ، وهو يقاوم دموعه ،
متمتماً بصوت متحشرج :
- نعم .. إنها هي .

مطّ المفتش شفّيته ، وهز رأسه متفهماً ، وهو يشير
لعامل المشرحة بتغطية الجثة ، قبل أن يضع يده على
كتف (زوكرمان) ، ويقوده إلى الخارج ، قائلاً :

- تقبّل أسفى يا سنيور (زوكرمان) .. من الواضح
أن قدم زوجتك قد انزلقت ، فسقطت على أم رأسها ،
ولقيت حتفها على الفور . سنقوم بكمل الإجراءات
بالطبع ، وستصل الجثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية
خلال أيام ، أما بالنسبة لمتعلقاتها ، فكلها هنا سليمة ،
ويمكنك أن تتسلمها على الفور .

أوما (زوكرمان) برأسه ، وحاول أن ينطق بشيء ما ،
إلا أن تلك القصة في حلقة منقته ، فاكتمنى بهيمة غير
مفهومة . وهو يتبع المفتش (بابلو) إلى حجرة
صغيرة . استقرت داخلها حقيبة أدوات التصوير
الخاصة بزوجته . مع بعض المتعلقات الشخصية .
وتشهد المفتش ، قائلا :

— الواقع أن مثل هذه الحوادث نادرة الوقوع هنا
ياسنيور (زوكرمان) . ولكن زوجتك كانت سينة الحظ .
فقليلون هم من يلقون حتفهم عند النهر . و
قاطعه (زوكرمان) في دهشة :

— عند النهر ؟ وما الذي كانت تفعله عند النهر ؟
هز (بابلو) كتفيه ، قائلا :

— ومن أدراكي ؟ .. كل ما أعلمه هو أن أحد الصيادين
عثر على جثتها هناك .

اتخذ حاجبا (زوكرومان) ، وهو يقول في عصبية :
— اسمع يا رجل . لست أدري أين وكيف عثرت
على جثة زوجتي . ولكن الشيء الذي أثق به تماما .
هو أن زوجتي كانت هنا لالتقاط بعض الصور . الخاصة
بالتلال والمرتفعات الصخرية . ومنطقة النهر خالية
منها تماما . ومن المؤكد أنها لن تفكر حتى في الذهاب
إلى هناك .

أجاب المفتش (بابلو) في صرامة :

— ليس هذا من شأنى .. استحضر روح زوجتك ،
وسلها ما الذى كانت تفعله عند النهر . أما لك
لمستوليتى تنتهى عند تسلمك جثتها ومنطقاتها .
وأشار إلى أشياءها ، مستطردا في حدة :
— هيا .. راجع كل هذا ، ووقع بالاستلام .

لقد اتفق حاجبي (زوكرمان) ، وامتلكت ملامحه
أكثر وأكثر بالشك ، إلا أنه راح يفحص أشياء زوجته
في اهتمام . وبخاصة حقيبة أدوات التصوير . التى
راجعها في سرعة ، قبل أن يقول في حدة :

— أين آلة التصوير الثانية ؟

قال المفتش في عصبية :

— الحقيبة بها آلة تصوير من طراز (نيكون) ، مع
عدد من العدسات .

هز (زوكرمان) رأسه نفيا في عتف ، قبل أن
يقول :

— هذا لا يكفى ، فالمحترف يحمل عادة آتى تصوير
من الطراز نفسه . وهذه الحقيبة تحوى آلة التصوير
الاحتياطية ، ولكن لا وجود لآلة التصوير الرئيسية ، ثم
إنه هناك أمر آخر أكثر إثارة للدهشة .

بدا الاهتمام على وجه المفتش . وهو يسأله .
- وما هو ؟

أجابه (زوكرمان) فى توتر أكثر :

- لا يوجد فيلم واحد فى الحقيقة كلها لا أفلام خذم .
ولا أفلام تم تصويرها . فهل تتصور أن زوجتى جاءت
إلى هنا ، وخرجت إلى منطقة شبه مقفرة . لتلتقط
صوراً لكتابتها الجديد ، ثم نسيت بعد كل هذا أن تحضر
أفلام التصوير ؟!

صمت (بابلو) بضع لحظات . وهو يتطلع إلى
الحقيقية . قبل أن يرفع عينيه إلى (زوكرمان) .
ويسأله فى اهتمام :

- وما تفسير هذا فى رأيك ؟

كادت أسنان (زوكرمان) يحطم بعضها البعض .
وهو يجيب فى صرامة :

- لو نظرنا إلى الأمر بواقعية ، وطرحنا جانباً رغبتك
التقليدية فى اخلاق ملف الحادث ، وإنهاء الموقف بأقل
قدر من المشكلات وامتاع . نوجد أن التفسير
الوحيد هو أن أحدهم تخلص من زوجتى . ومن المة
التصوير الرئيسية ، وكل أفلام التصوير . ثم نقل جثتها
وأدواتها إلى قرب النهر . ليبينوا الأمر كحادث عارض .

بدا مزيج من الدهشة والانزعاج على وجه المفتش .
وهو يقول :

- ولماذا يفعل شخص ما هذا ؟!

قال (زوكرمان) فى عصبية :

- ليخفى سرا كشفته . أو التقطت صورته على
الأرجح .

بدا هذا التفسير منطقياً للغاية بالنسبة للمفتش (بابلو) .
حتى أنه شرد بضع لحظات مع التفكير فيه . قبل أن
يهز رأسه فى عنف ، قائلاً :

- سنيور (زوكرمان) هذا ليس فيلماً أمريكياً من
أفلام الإثارة . عث الواقع يا رجل

أجابه (زوكرمان) فى حزم :

- إننى أعيش الواقع أيها المفتش . وأحيا كل جزء
منه .

قالها على نحو بدا معه من الواضح أنه لم ولن
يخضع للتفسير الرسمى لموت زوجته .
لن يخضع له قط ..

* * *

اقتحم حراس السجن حجرة انصيائية . وانطلقت
رصاصاتهم فى كل مكان بلا استثناء . حتى لم يعد هناك

منتيمتر واحد سليم ، ورئيسهم (بيرت) يقتحم المكان خلفهم ، هاتفا :

- هل قتلتموه ؟!

توقف إطلاق النار دفعة واحدة مع هتافه ، وتلفت الجميع حولهم فى حيرة ، يتطلعون إلى الحجرة التى تحطمت تماما ، قبل أن يقول أحدهم حائرا :

- ولكنه ليس هنا .

هتف صوت فى خلفه :

- مستحيل ! .. لقد رأيته يدخل إلى الحجرة ، ولم يغادرها قط ، حتى استسلم لها .

بدت الحيرة على وجوههم ، وأطلق الغضب من عيني (بيرت) وملامحه ، وهو يقول :

- اللعنة ! .. أين اختفى إذن .. من المستحيل أن يكون قد تخلص ، أو ..

بتر عبارته بقعة ، عندما وقع بصره على فتحة التهوية فى السقف ، وصرخ :

- ممرات التهوية .. إنه داخل ممرات التهوية .

ولم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية فى أن واحد ، وبحركة غريزية وانطلقت رصاصاتهم نحو السقف ، فى نفس اللحظة التى اندفع

فيها (أدهم) ، يزحف بأقصى سرعته ، عبر ممر التهوية ، فى سقف الحجرة ..

وانطلقت الرصاصات من حوله ، مخترقة السقف ، والممر المصنوع من الصاج المقوى ، وشعر بإحدى الرصاصات تمزق سرواله ، وجزء من لحم فخذه ، قبل أن يتجاوز تلك الجزء من ممرات التهوية ، إلى شبكة الممرات الرئيسية ..

وفى غضب هائل ، هتف (بيرت) :

- لقد تجاوزنا . انطلقوا خلفه لا تسمحوا له بالفرار أبدا .

اندفع الرجال خارج الحجرة ، وبدت عليهم الحيرة ، وهم يتطلعون إلى الأسقف المعلقة ، فصاح (بيرت) :

- انتزعوا شبكة فتحة التهوية ، وطاردوه فى الممرات تعاون الرجال فى سرعة ، ولم يلبث اثنان منهم أن دلفا إلى الممرات ، فى حين أشار (بيرت) إلى الآخرين ، قائلا فى حنى :

- شبكة الممرات هذه تمتد إلى كل مكان فى السجن ، والرجل يمكنه استخدامها للوصول إلى أى مكان ، فيما عدا الزنازين وممراتها ، وهذا يحتم علينا الانتشار فى المكان ، وتغطية كل مخارج التهوية ، و ..

قاطعه صوت عصبى ، يقول :

- هذا لا يكفى .

التفت الجميع في توتر إلى المفتش (هاتكس) .
الذي يتجه نحوهم غضبا . ومازال القيد الحديدي يحيط
بعضميه خلف ظهره ، وهو يستطرد :

- حلوا قيدي أولا . وسأخبركم ما ينبغي فعله
أشار (بيرت) إلى أحد رجاله . فأسرع بحل قيد
(هاتكس) ، ثم قال في عصبية :

- لا شأن لك بما ينبغي أن نفعله أيها المفتش . أنا
الممنول عن الأمن هنا ، ولا سلطة تخول لك التدخل
في الأمر .

تحرر (هاتكس) من قيده . وقال في حدة :
- لسنا هنا بصدد مناقشة الرسمية وحدود السلطات ،
ولكن الأفضل أن نتعاون ، ولو بصفة ودية . لاستعادة
ذلك الرجل ، قبل أن نفقده .

قال (بيرت) في عصبية :
- لن يمكنه الخروج من هنا . ثقي بهذا .

صاح به (هاتكس) :
- ثقي أنت بأن ذلك الرجل ليس كأي خصم واجهته
من قبل . إنه حالة خاصة . وخاصة جدا ، ومن الخطأ أن
تتصور أنه يوجد ما يمكن أن يعجز عن فعله ، وإلا لمستصعب
بصدمة عيفة . عندما تحين لحظة المواجهة الحقيقية .

تعتقد حاجب (بيرت) . وهو يقول في غضب :
- استيقظ أيها المفتش . لو أننا نتحدث عن الرجل
نفسه . فهو مجرد رجل واحد . مهما بلغت مهاراته
وقدراته . رجل واحد في مواجهة أطقم الحراسة .
ونظم الأمن . والبوابات الإلكترونية . وأجهزة المراقبة .
والأضواء الكشفة . والأسوار المزدوجة المكهربة
رجل واحد أيها المفتش . رجل واحد .

تعتقد حاجبا (هاتكس) . وهو يقول .
- نعم هو رجل واحد . ولكنه يسوى جيشا من رجالك
صرخ (بيرت) :

- أمكدا تفكرون يا رجال المباحث القدرالية ؟
يمكن أن يخيفكم رجل واحد إلى هذا الحد ؟ إنه
بالتأكيد ليس (سوبرمان) (*) أو (باتمان) (**) أو
حتى العملاق الأخضر (***) . إنه مجرد رجل !

(*) سوبرمن شخصية خيالية . يطلق من كوكب آخر (كريستون) .
لكنه قور حرفة على كوكب الأرض ، واستخدمه لمدومه أشهر
وتعذيب الحبر . ولقد ابتكرها (جو شاستر) و (جيري سيغال) . ابن
الأزمة الاقتصادية الأمريكية في الثلاثينات

(**) باتمان . بطل خيالي مقتنع . من ابتكار الأمريكي
(بوب كين) . نفى وذاه مصرعه . على يد مجرم أثم . فقرر المار
لهما بمحاكمة الجريمة طيلة صوره .

(***) العملاق الأخضر . شخصية خيالية بطل أمريكي . تعرض
لكمية من أشعة (جاما) . التي أثرت على تكوينه . فأصبح قسرا على
التحول إلى عملاق أحمر اللون حرق القوة عند الغضب

زفر (هاتكس) فى حلق ، قبل أن يقول فى حدة :
- فليكن يا رئيس الأمن . دعنا نرى كيف ستتعامل مع
هذا الرجل الواحد ..

قال (بيرت) فى صرامة عنيدة :
- سترى .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردا :
- اتصل بالرجلين داخل معمرات التهوية ، ومرهم
بإطلاق النار على الهدف فور رصده .
ورمق (هاتكس) بنظرة جاثبية . وهو يضيف :
- وبلا رحمة .
قالها . وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، و ..
ومتشفية .

زحف الحارسان فى حذر ، عبر معمرات التهوية .
وقال أحدهما ساخطاً ، وهو يلوح مفترق طرق ، على
بعد مترين منهما :

- ترى أى طريق ينبغي أن نتخذه للحاق بذلك الرجل .

بنت الحيرة على وجه زميله . وهو يجيب .

- لست أدري ، ربما انطلق كل منا فى ..

قاطعه أزيز جهاز اللاسلكى ، فاسترعه من حزامه .

وقال فى توتر :

- ماذا هناك ؟

أتاه صوت أحد زملائه ، قائلا :

- الرئيس يأمركما بإطلاق النار على الرجل ، فور
العثور عليه ، وبلا رحمة .

اتعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى عصبية :

- نطلق عليه النار ؟ أتعرف ما الذى يمكن أن يحدث ،
لو أطلقنا النار داخل معمرات التهوية ؟

مضت لحظة من الصمت ، ثم ارتفع صوت (بيرت)
نفسه ، يقول فى غضب :

- لا تناقش أيها الغبي . نفذ الأوامر فحسب . هل
تفهم ؟

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهما :
- سنفعل أيها الرئيس . سنطلق النار فور رؤية
الرجل ، حتى ولو أدى هذا إلى انهيار نظام التهوية
كله .

صرخ (بيرت) :

- فلينهز السجن كله لو اقتضى الأمر .. المهم أن
يقضى تلك الرجل نحبه تحت أنقاضه

هتف أحد العارسين :

- فليكن أيها الرئيس ، سنفعل ما تأمر . اطمئن .

قائلا ، وسبابته تتجه نحو زر إنهاء الاتصال ، إلا ان يده كله ارتجفت مع جسده فى عنف ، عندما سمع صوتا ساخرا ، يقول :
- لا تغلقه الان .

استدر الرجلان فى مزيج من الذعر والدهشة إلى مفترق الممرات ، حيث برز (أدهم) . وهتف أحدهما منزعا ، وهو يصوب إليه مسدسه :
- رباه !.. من أين .. ؟ ...

قل ان يتم عبارته . كانت اصابع (أدهم) تقبض على ماسورة المسدس . وتتزعج من يد ترجل ، فى حركة قوية عنيفة . وهو يقول ساخرا
- من انخطر العبث بالاسلحة النارية ، فى أماكن معينة

ثم هوى على فكه بكلمة كالتقبلة . مستطردا .
- فهذا يفقدك الوعي .

صوب اليه الحارس الآخر مسدسه . وهو يهتف مذعورا :

- اتعقد حتى .. لن أسمع لك به ..

انقضت .. (أدهم) على معصم الرجل . ولوثه إلى أعلى فى حركة سريعة ، و ...

وانطلقت الرصاصة ..

انطلقت على قيد مستقيمات من أذن (أدهم) ، ودوت كالتقبلة فى ممرات التهوية الضيقة . التى ارتجت مع التردد ، فى نفس اللحظة التى حطم فيها (أدهم) أنف الحارس الثتى ، وصوت (بيرت) يتعالى عبر جهاز اللاسلكى :

- ماذا حدث عندكم ؟ ماذا حدث بحق الشيطان ؟!

تكررت صيحته عدة مرات ، دون أن يتلقى جوابا ودون حتى أن يسمعها (أدهم) ..

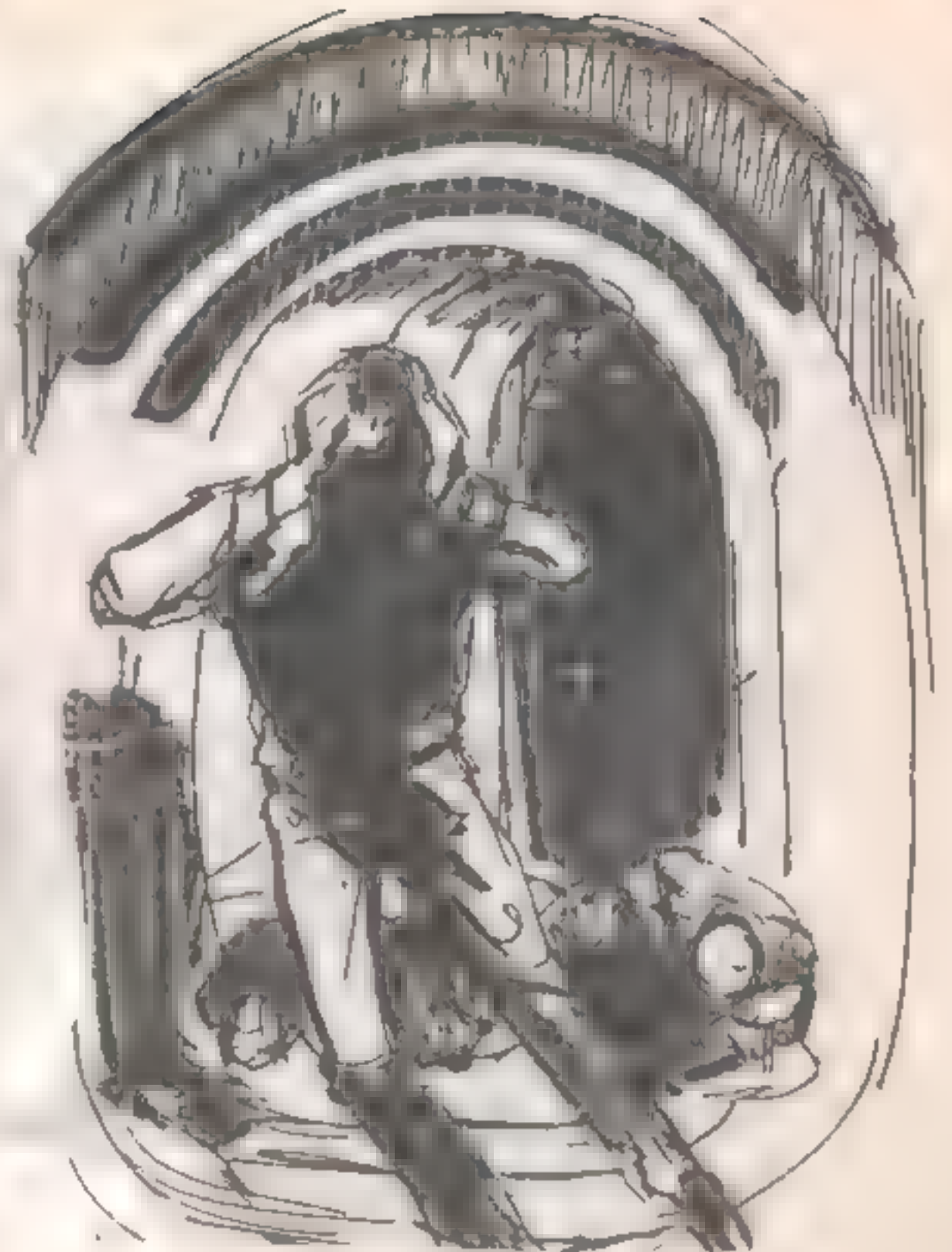
هذا ، لأن إطلاق الرصاصة إلى جوار أذنه ، فى تلك الممرات الضيقة ، قد أصابه بفقدان مؤقت لواحدة من أهم حواسه الخاصة ..

حاسة السمع

على الرغم من دقة وخطورة الموقف ، لم يستطع (هاتكس) منع نفسه من الابتسام ، عندما نقل جهاز اللاسلكى عبارات (أدهم) الساخرة ، ودوى الرصاصة . وقال بلهجة تحمل تهكما واضحا :

- إنه مجرد رجل واحد .

اتعقد حاجبا (بيرت) فى سطح عاضب . وهتف



لأن الله في رحمة من رحمته ، في تلك الحرب لصيفة .

فد حبه بقدر موقفه لو احدثه من أهم حرمه الحصة

- نعم .. مجرد رجل واحد ، والتصاره المحدود هذا
لا يرضى أنه هزمتا .

قال (هاتكس) في بروه مستفز :

- بالتأكيد .. ما المشكلة في اختفائه ، وفقدانكم لأثره
في معمرات التهوية .

مال (بيرت) نحوه ، قتلأ :

- مهذا بلغ اتساع وانتشار معمرات التهوية ، فهي
محدودة ، ولن يمكنه الاختفاء فيها إلى الأبد .

وانتقد حاجباه ، وهو يضيف :

- ووجوده داخلها يجعله أشبه بفأر في المصيدة .

سأله (هاتكس) في سخرية :

- ومن سيلعب دور القطة ؟ .. أنت ؟

صاح (بيرت) :

- نعم .. أنا .

ترجع (هاتكس) برد فعل مباشر ، ومصح الرذائف

عن وجهه في تقزز ، في حين التفت (بيرت) إلى

رجله ، قتلأ في صرامة :

- أحضروا الأقنعة الواقية ، واطلبوا من الجميع

لارتدادها على الفور .

سأله (هاتكس) متوتراً :

- قيم تفكر يارجل ؟

أشار (بيرت) الى فتحة التهوية ، قائلا :

- سنطلق الغاز المنوم ، عبر ممرات التهوية ، الى كل مكان في السجن ، ونظرا لأنه غاز عديم اللون خفيف الرائحة ، فسيستنشق ذلك الرجل دون أن يدري ، ويسقط فاقد الوعي ، داخل الممرات ، وعندئذ نربطه من قدميه . وسحبته إلى هنا دون مقدمة

قال (هاتكس) في دهشة :

- ولكن انتشار الغاز سيؤدي إلى إسقاط كل السجناء

ابتسم (بيرت) في سخرية ، قائلا :

- وماذا في هذا ؟

ومد يده لينفط لقناع الواقى من الغازات ، من أحد

رجاله ..

وفي نفس اللحظة ، التي ارتدى فيها قناعه ، كان

(ادعم) يزحف داخل ممرات التهوية ، متتبعا تلك

المسارات ، التي رآها على الخريطة ..

كان مصابا بصمم مؤقت ، أصابه بانزعاج شديد ،

فغمغم دون أن يسمع نفسه :

- نفترض أن يتودنى هذا الممر إلى مخرج م ..

في قنو السجن ، ولكن المهم لا ينتبه رئيس الأوغاد

إلى أنني سأأخذ هذا المسار ، حتى لا أجدهم في
انتظارى هناك .

واصل زحفه بضع لحظات ، حتى بلغ ممرا يميل إلى
أسفل ، بزاوية شبه حادة . فدفع جسده عبره ، وتركه
ينزلق في سرعة ، متمتعا :

- هذه الوسيلة أكثر سرعة بالتأكيد .

لم يكن يسمع صوته ، وهو يتمتم بالعباراة ، ولكنه
شعر مع انزلاقه بسرعة الهواء تتزايد وبارتجاج محدود
في جدران الممر ، الذي يتسع كثيرا ، كلما انزلق إلى
أسفل أكثر وأكثر ..

وفجأة ، اتبته إلى طبيعة ذلك الارتجاج ، وسبب
تزايد سرعة الهواء ، و ..

ولمع تلك المروحة الضخمة ..

المروحة التي تمد ممرات التهوية كئها بالهواء
كانت ريشاتها الكبيرة تدور بسرعة مخيفة ، وتمسك
نهاية الممر

وكان يندفع نحوها ، منزلقا فوق الممر المعدني ،
على نحو لا يمنحه سوى فرصة واحدة
فرصة الموت داخل ممر محدود ..
ربأشع وسينة ممكنة .

* * *

« يا للسخافة ! .. »

نطق المفتش (هاتكس) الكلمة في سخط واضح ، وهو يرتدى القناع الواقى من اللغزات ، ويراقب رجال الحراسة ، وهم يطلقون الغز المنوم في ممرات التهوية ، فالتفت إليه (بيرت) قائلاً :

- أوه سخافة هذه ، التي تتحدث عنها ؟

أجابة (هاتكس) على الفور :

- كل ما يحدث حولي صورة مجسمة للسخافة ، حتى أنني أكره البقاء والمرآة ، وأفكر جدياً في الخروج من هنا .

قال (بيرت) في سخرية شامتة :

- لن يمكنك هذا للأسف ، فلن يخرج مخلوق واحد من هنا ، قبل حسم هذا الموقف ، وإعادة الرجل إلى زنازته .

قال (هاتكس) ، محاولاً استفزازه :

- هل تضي أنني سأقضى ما تبقى من عمري هنا ؟
رمقه (بيرت) بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول في عصبية :

- صفري .

ثم أشار إلى رجاله ، ليواصلوا إطلاق الفسز في

ممرات التهوية ، واتخذ حاجباً ، وهو يسترجع كلمات (توماس كلارك) ، التي ختم بها معادنته الهاتفية الأخيرة معه ...

« لابد وأن يلقى تلك الرجل مصرعه الليلة ... وبأى ثمن .. » ..

وجعلته الغضب يكرر في أعماقه العبارة الجاسمة الأخيرة ..
بأى ثمن ..

* * *

على الرغم من السرعة المخيفة ، التي ينزلق بها جسد (آدم) ، نحو مروحة التهوية الضخمة ، انطلق عقله يعمل بتلك الدقة المذهلة ، لدراسة موقعه ، وتحديد ربود الفعل المناسبة تجاهه ..

لم يكن من الممكن أبداً أن يتشبث بجدران الصخر المصقولة ، وهو ينزلق بهذه السرعة ؛ ليمنع جسده من السقوط في براثن المروحة الحادة القاتلة ..
إلا إذا ..

وعند هذه الجملة الاعتراضية البسيطة ، توقف عقله لجزء من الثانية ، قبل أن ينطلق لتحويل الفكرة إلى خطة ، ووضعها موضع التنفيذ ..

وبسرعة مذهشة ، انتزع المطرقة ، التى استولى
عليها من حجرة الصيثة ، من حزامه . وهوى بطرفها
الحاد على الجدار المصنوع من الصاج .

ومع قوة الضربة وعنفها ، اخترقت المطرقة الجدار ،
وتعلق (أدهم) بذراعها . فتوقف انزلاقه دفعة واحدة ،
وفى لحظة التوقف المباغت ، صرخت عضلات ذراع
(أدهم) من الألم . إلا أن أصابعه تشبثت بذراع
المطرقة فى قوة ، متجاهلة الألم واتقباض العضلات .
فلهث فى عنف لثانية أو يزيد ، قبل أن يفهم :

- حمدا لله - لولا هذه المطرقة ، مع عناية الله
(سبحانه وتعالى) ، لـ ..

بتر عبارته بغنة ، واتخذ حاجباه فى شدة ، مع تلك
الرائحة الضعيفة ، التى انقطها أنفه الحساس .

رائحة استقبلتها مراكز الشم . ونقلتها فى جزء من
ألف جزء من الثانية إلى المخ ، الذى صنفها بسرعة .
وحدد طبيعتها فى جزء آخر من ألف جزء
واتخذ حاجباه فى شدة ..

لقد ميز الرائحة ، على الرغم من ضعفها ، وتعرف
فيها احد الغازات المخدرة ، التى تنتشر عبر ممرات
التهوية ..

ودون اضاءة جزء آخر من الأجزاء الألف للثانية .

كتم (أدهم) أنفاسه وراح عقله يدرس هذا الموقف الجديد
كان من الواضح أن الأمور تتعقد أكثر وأكثر ، فى كل
لحظة تمضى

والمواقف تتداعى فى سرعة ، من موقف إلى آخر

اختطاف السفير المصرى ..

القتال العنيف طوال الوقت ..

معركة المستشفى ..

السجن ..

ثم اختطاف (منى) ..

راجع عقله كل هذه الأحداث فى أجزاء قليلة من

الثانية ، وهو ينتزع لغة الحبال من حزامه ، ويربط

العفك فى طرفها ، و ...

وفجأة ، حدث ما لم يكن فى الحسبان ..

لقد انفصل ذراع المطرقة عن قمتها المعدنية

وعاد جسد (أدهم) ينزلق فى سرعة نحو المروحة

الضخمة

ونحو موت مؤكد ..

بلا مفر ..

وبلا هودة ..

* * *

هـ - كل القوى ..

شد رجل العمليات الخاصة (جاك) قلعتَه في هزم ،
أمام الجنرال (جيمس تورنسول) الذي اتفق حاجباه في
غضب ، وهو يقول :

- يا للعار !! يا للسخافة !.. كيف يفعل بكم ذلك
الرجل هذا ؟ كيف يهزم مع زميلته ثلاثة من أقوى
رجال العمليات الخاصة الأمريكية ؟!

تتحنن (جاك) ، قائلا :

- مغررة ياسيدى الجنرال ، ولكنك أخبرتنا سابقا أنه
هزم فريق القتل رقم واحد في (سويسرا) (*)
احتقن وجه (تورنسول) ، وهو يقول في حدة :
- ماذا تقول يا رجل ؟ .. ماذا تعنى بقولك هذا ؟ ..

هـ ...

شد (جاك) قامته أكثر ، وهو يقول :

- لست أعنى شيئا ياسيدى الجنرال ..

رمقه (تورنسول) بنظرة عصبية ، قبل أن يمشي

(*) راجع قصة (الإعصار الأحمر) المقصورة رقم ١٠٤

بوجهه عنه ، ويتجه إلى نافذة حجرة مكتبه ، ويتطلع
عبرها في صمت لدقيقة أو يزيد ، ثم يقطع هذا الصمت
بعبارة مقتضبة حازمة ، قائلا :

- أريد تلك الرجل يا (جاك) .

أجاب (جاك) في سرعة وهزم :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى الجنرال .

أوما (تورنسول) برأسه في رضا ، قبل أن يقول :

- هذا ما أتوقعه من تلامنتى ..

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد :

- ونلك الرجل أصاب زميليك (ماتسون) و (ألبرت)

بإصابات فادحة ، مستفعدهم عن العمل على الأرجح ،
وأظنك تتوق للثأر منه .

أجاب (جاك) :

- هذا صحيح .

اتفق حاجبا (تورنسول) ، وهو يقول في صمت

واضح :

- أنا أيضا أسمى للثأر منه يا (جاك) ، ولكن هناك

أمر ينبغي أن تدركه ، قبل أن نشرع في هذا .

ثم استدار إليه في بطم ، وتطلع إليه بنظرة صارمة ،

مضيقا في هزم :

- إننا سنعمل بصفة غير قانونية . أو بمعنى أدق .
بصفة شخصية بحتة

صمت (جاك) لحظة ، وكأني يزن الأمر في رأسه .
قبل أن يقول لي حسم :

- لا فارق عندي يا سيدي الجنرال .

تهدد (تورنسول) في ارتياح . وهو يضمم .

- عظيم .. عظيم يا (جاك) .

وتقدم نحوه . ليضع يده على كتفه . مستطردا .

- هكذا أحب أن يكون رجالي .

ومنح الشاب ابتسامة مشجعة . ولدت وماتت على
شفتيه في لحظات . قبل أن يعقد كفيه خلف ظهره .
ويسير في أرجاء الحجرة ، قائلا :

- كوننا بعمل بصفة شخصية لن يمنحني من منحت
أحدث وأفضل أسلحتنا ومعداتنا يا (جاك) . ستحصل
على برسامج (السوبرمان) الجديد . الذي لم يتم
استخدامه سوى في أثناء التدريبات الخاصة فحسب .
وسأقول : إننا اخترنا هذه الفرصة لتجربته . المهم
أن تواجه ذلك الرجل . وأن تسحقه سحقا

قال (جاك) في حزم :

- سأبدل قصري جهدي يا سيدي الجنرال

التفت إليه (تورنسول) ، قائلا :

- المهم الآن أن نحدد موقعه .

قال (جاك) في حيرة :

- أليس داخل السجن المركزي يا سيدي ؟

أجاب (تورنسول) في سرعة :

- موقعا

أطل التساؤل في عيني الشاب . فتابع (تورنسول)

في اهتمام :

- إنه يشير متعجب جمة هناك . في هذه اللحظة .

وبناء على خبرتي السابقة كرئيس لقسم العمليات
الخاصة . في المخابرات المركزية الأمريكية . وكرجل
خاض حربا محدودة . ضد (أدهم صبري) هذا .
أراهن على أنه سيكسر غطرسة طاقم أمن السجن .
وسيفادره على الرغم منهم جميعا . وتحت أنوفهم .
مهما حاولوا منعه من هذا .

تعتقد حاجبا الشاب . دون أن ينبس ببنت شفة . في
حين اتهمك الجنرال بضع لحظات في فحص علبة
الخرائط . قبل أن يلتقط من بينها خريطة . ثبتها على
الجدار المقابل . وقال :

- هذه خريطة هندسية تفصيلية لسجن (نيويورك)

المركزي بكل مداخله ومخارجه ، ولو أننا استعرتنا
طريقة تفكير (أدهم صبرى) ، وأضفنا إليها شيئا من
الخيال ، مع القليل من التقدير لقراته ومواهبه الفذة ،
فسنجد أن أفضل مخرج له هو هذا .. وهنا ينبغي أن
نتنظره .

قالها ، وسبأته تشير إلى نقطة محدودة ..
والعجيب أنها نقطة تبعد عن السجى بكثر من كيلومترين .
ولترفع حاجبا الشاب فى حيرة ..
بل فى دهشة ..
دهشة عارمة ..

* * *

أى متابع لحياة (أدهم) وأعماله ، لابد وأن يدرك
أن الفضل الأول فى نجته ، من كل ما يتعرض له من
مخاطر يعود - بعد عناية الله (سبحانه وتعالى) - إلى
ذلك التوافق العضلى العصبى المدهش ، الذى وهبه
الخالق (عز وجل) إياه ، وصفقته الخبرة والتجارب
المختلفة .

ففى نفس اللحظة ، التى انفصل فيها نراع المطرقة ،
كان (أدهم) يلقى الحبل ، وفى نهايته المقك ، نحو
المروحة الضخمة ..

وعلى الرغم من القارقة القوية ، التى حدثت مع
لوتظام المقك بالمروحة ، والتفاف الحبل حول
ريشاتها ، بفعل دوراتها ، إلا أن أن (أدهم) المصاحبة
بصمم مؤقت لم تسمع شيئا ، فى حين تركزت حواسه
كنها على عملية الانزلاق ، التى تدفعه نحو أجنحة
المروحة ، التى انخفضت سرعة دوراتها كثيرا ، مع
التفاف الحبل حولها .

وبمهارة مدهشة ، وتوافق مذهل ، هبط (أدهم)
بقنميه على ريشتين من المروحة ، ثم انحنى بتمسك
بمركزها ، وترك جسده يدور معها بسرعتها المنخفضة ،
قبل أن يدفع قنميه فى إطارها بكل قوته ، ليمنع
دوراتها ..

كان هذا يحتاج إلى قوة خارقة بالطبع ، إلا أن الحبل
الملتف حول محور المروحة عاونه على إيقافها لحظة
واحدة ، كانت تكفى ليثبت عبر الريشتين الكبيرتين ، إلى
الجانب الآخر من المروحة ، التى عاودت دوراتها فور
عبوره ..

وعلى الجانب الآخر ، لهث (أدهم) مرتين فى قوة ،
قبل أن يعاود كتم أنفاسه ، قاتلا لنفسه :
- حمدا لله .. لقد تجاوزت هذه المرحلة من الخطر .

كان يشعر بدوار محدود . نتيجة لم استنشقه من
الغاز المخدر . ولكنه واصل كتم أنفاسه . وهو ينزلق
عبر الجزء المتبقى من العمر ، حتى بلغ نهايته .
ووجد جسمه يدفع عبر فتحة التهوية في ، القبول إلى
قاعة التنظيف الكبيرة ..

وبسرعة ، هب (أدهم) واقفا على قدميه . وتلفت
حوله في حذر ، قبل أن يفهم :

- ترى هل أجد ما يعاوني على النجدة هـ ؟
لم يكن من السهل عليه أن يكتم أنفاسه . طوال هذه
الفترة . إلا أنه بذل جهدا خرافيا ، احتقن له وجهه في
شدة . وهو يبحث في قاعة التنظيف عن شيء ما
بالتحديد

وبرق عيناه في ارتفاع عندما عثر على بغيته ..
وفي سرعة ، التقط قطعة من القماش التنظيف ،
وسكب عليها قليلا من النشادر المسائل (*) . الذي عثر
عليه ، ولفها حول أنفه وغطه في إحكام .

(*) النشادر مركب من الهيدروجين والنتروجين . سمية ٢
وهو عازل لا يؤذي . يضاف لترتبه شمسيد الدويش في الماء . ومحبوبه
الماء في قوى التأثير . ويمكن تحصيل النشادر المسائل عن طريق التحصير
الإتلافي لمعدن الحجرى . أو بتوسيط الكيمياء الحديثة . كعضوة اوسى
في عملية تثبيت الهيدروجين الجوى . وملاح النشادر واسعة الاستعمالات .
في الصناعة ، والطب ، والزراعة

كانت راحة التشاور عنيفة مزعجة ، إلا أنها كانت
قادرة على معادلة تأثير الغاز المخدر . بحيث يمكنه
التقاط أنفاسه . دون أن يفقد وعيه ..
وفي سرعة . انتزع الخريطة من حزامه . وفردها
أمامه . وراح يبحث فيها عن طريق الهروب . الذي
انتخبه منذ البداية ..

ومع اتهمائه في دراسة الخريطة ، نسي (أدهم) أمرا
جوهريا للغاية :

نسي حالة الصمم المؤقت التي أصابته .
فمن خلفه ، وفي حذر كامل . تقدم نحوه اثنان من
حراس السجن . بقناعيهما الواقيين . وكل منهما يحمل
مدفعه الآلى . ويصوبه إلى ظهره ..

وفي الظروف العادية . لم يكن من الممكن أبدا ألا
يلتقط (أدهم) وقع أقدام الرجنيين . وألا يشعر بتسللهما
نحوه ..

ولكنه ، في هذه المرة . لم يكن يسمع شيئا .
أى شيء ..

ولهذا تقدم الرجلان ، حتى صارا على قيد أمتار
ثلاثة منه . وصوب كل منهما فوهة مدفعه الآلى إلى
ظهره ، و ..

وانطلقت الرصاصات في القبول ..

انطلق (أدهم) يحدو ، عبر ممر طويل .. طويل ، يبدو وكأنه بلا نهاية ، ومن خلفه انطلق فريق من الرجال ، في ملابس سوداء مخيفة ، وكل منهم يحمل مدفعاً ألماً ضخماً ، وراحوا يحاصرونه بخطة محكمة ، حتى لم يعد له من سبيل للفرار ..

وفجأة ، صوب الجميع مدافعهم الآلية نحوه ..

وانطلقت في المكان صرخة مذعورة :

- احترس .. احترس يا (أدهم) .

ثم برز (قدرى) . بجسده الضخم المكتظ ، وهو يحدو بكل قوته نحوه ، مكرراً :

- احترس يا صديقى .

كان الرعب والهلع يملآن كل سنتيمتر من ملامحه ، ولكن هذا لم يمنع الرصاصات من أن تتطلق ..

ومن أن تخترق جسد (أدهم) ، و ...

« لا .. ليس (أدهم) . ليس (أدهم) . » .

انتفض جسد (قدرى) في عنف ، وهو يطلق تلك الصيحة ، التي انتزعته من كابوسه ، فهب من رقبته ، وصرخ :

- (أدهم) .

أسرعت إليه مضيئة الطائرة ، لتهدئ من روعه ، وتربت عليه في رفق ، قائلة :

- اهدأ يا سيد (قدرى) .. اهدأ .. كل شيء على ما يرام .

حدثى (قدرى) في وجهها لحظة ، قبل أن يهتف :

- من أنت ؟ .. وأين أنا ؟ !

منحته ابتسامة رقيقة ، وهي تجيب :

- أنا (هبة) .. مضيئة جوية بشركة (مصر للطيران) ، وأنت على متن طائرة طبية خاصة ، تتجه بك إلى (القاهرة) مباشرة .

هتف مذعوراً :

- إلى (القاهرة) ؟ ! .. كيف ؟ ! .. كيف سمحوا لأنفسهم بفعل هذا ؟ ..

كيف ؟

قالت ، وتأوه في ألم ، مع الحركة المفاجئة لجرحه ، فعادت تربت عليه في رفق وحنان ، قائلة :

- اهدأ يا سيد (قدرى) .. لقد أخبروني أن هذا لصالحك ، فأنت مصاب ، و ...
قلتها في مرارة :

- كان ينبغي أن أبقى إلى جواره في محنته .

سألته في دهشة :

- إلى جوار من ؟!

اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يقول :

- إلى جوار أصدق أصدقاء عمري . لا يمكنني أن

أتركه وحده هناك .

تطلعت إليه لحظة في تعاطف ، قبل أن تسأله في

حنان :

- أكان لديك ما يمكن أن تفعله من أجله ؟

حدق في وجهها بدهشة ، وكأنما لم يترفع هذا

السؤال قط ، وارتسمت الحيرة على ملامحه بضع

لحظات ، قبل أن تنحدر من عينيه بعمق ساخنة ، وهو

يخفضهما ، متمثما :

- لست .. لست أدري .

ابتسمت مشفقة ، وهي تجلس على المقعد المجاور

له ، وتميل نحوه ، قائلة :

- أنت لم تخطئي في حقه إذن .. قل لي : أتعتقد أنه

من لطراز الذي يمكنه رعاية نفسه بنفسه ؟

هتف في حماس :

- بالتأكيد .. أمثاله يمكنهم رعاية دولة بأكملها

ضحكت ، قائلة :

- ما الذي يقلبك بشأنه إذن ؟

وبدت له ابتسامتها ساحرة ، وهي تضيف :

- صحتك هي الأحق بالقلق .

كانت فطنة ، رقيقة ، جذابة ، إلا أنه لم يستطع

التفاعل مع كل هذا ، فلم يكن بصلاح عقله وكيانه سوى

أمر واحد ..

ترى ما الذي يواجهه (أدهم) الآن ؟!

وكيف سيواجهه ؟!

كيف ؟!

* * *

لم تكن أدنا (أدهم) قادرة ، في ذلك الوقت ، على

سماع قطار بخاري قديم ، ينطلق نحوه فوق قضبان

مهترنه متهاكة قديمة ، ويطلق صفارة تحذير قوية ،

لذا فقد اقترب منه الحارسان لمسافة بالغة الخطورة ،

لا تتجاوز الأمتار الثلاثة ، وصوب كلاهما مدفعه إليه .

و ...

ولكن الخلل في حواس (أدهم) ، كان يقتصر على

حاسة السمع وحدها ..

وليس على حاسة البصر ..

ففى نفس اللحظة ، التى شهر فيها الرجلان
مدفعيهما ، التقطت عينا (أدهم) تلك الظل المتحرك ،
على الجدار المقابل ..

واستوعبت تماما ما يرضيه .

وعندما ضغط الرجلان زنادى مدفعيهما ، وانطلقت
رصاصاتهما لتحصد الهدف ، حدث تغير جوهري فى
الموقف كله ..

لقد اختلف الهدف نفسه من موضع الإصابة ..

اختلف ، لأنه انحنى بسرعة مذهلة ، وترك
الرصاصات كلها تعبر فوق رأسه ، ثم مال بجسده إلى
اليسار ، وثب كالفهد نحو خصمه ..
وانقلب الموقف رأسا على عقب ..

صحيح أن الرجلين كانا يحملان السلاح ، وهو أعزل
تماما ، إلا أن وثبته المدهشة ، والصيحة القتالية التى
أطلقها ، كان لهما تأثير مدهل ، انتفض له جسدا
الرجلين ، وهما يتراجعان فى رعب حقيقى ، قبل أن
تهوى قبضة (أدهم) على معدة أولهما كالقنبلة ،
ويدور جسده كله حول نفسه كمروحة أعمى ، لتركل
قدمه قناع الرجل الثقى ، وتلقفه مترين كاملين إلى
الخلف ، فيرتطم بالفلاية الكبيرة ، ويسقط فاقد للوعى .

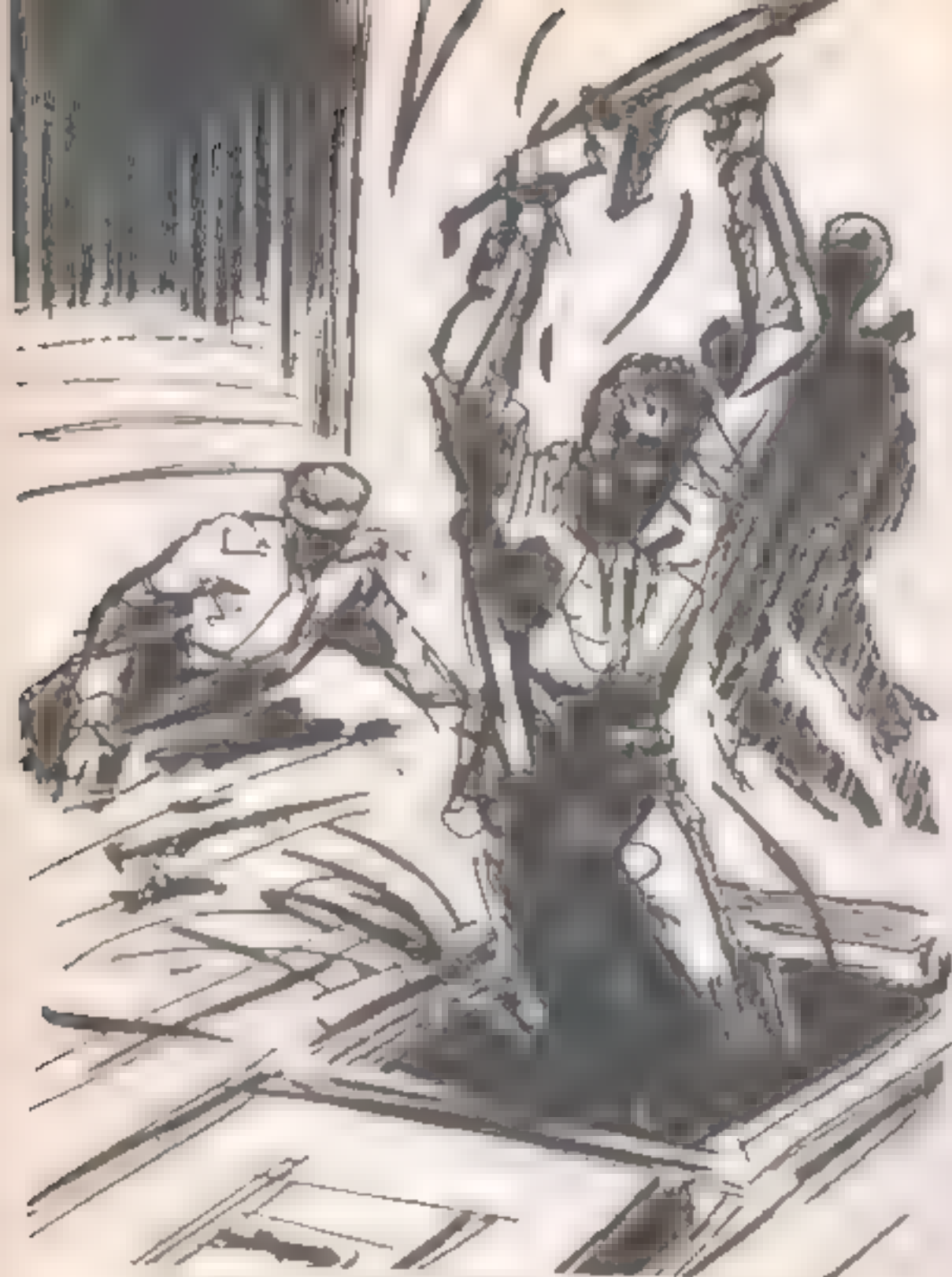
وفى نفس لحظة سقوطه ، برز خمسة من الحراس ،
عند مدخل قاعة التنظيف ، وهم يصوبون مدافعهم نحو
(أدهم) ..

وبضربة قوية ، استزع (أدهم) صمام الفلاية ،
فاتطلق البخار يغمر المكان بصوت مخيف ، ويصنع
حاجزا بينه وبين الحراس الخمسة ، الذين راهوا
بطلقون رصاصاتهم فى غضب وإسراف ، فى كل مكان
يمكنهم التصويب إليه ..

وبكل سرعته ، انطلق (أدهم) يحدو عبر القاعة ،
والبخار يحجبه عن عيونهم ، فى حين تطارده
رصاصاتهم فى شراسة ، حتى بلغ فجوة مستديرة فى
ركن القاعة ، تغطيها شبكة معدنية كبيرة ..

وبكل ما يملك من قوة ، راح (أدهم) يرفع تلك
الشبكة من موضعها ..

كانت شبكة من الصلب ، ثقيلة للغاية ، حتى أنها
تحتاج إلى ثلاثة رجال على الأقل لرفعها ، ولكن
عضلاته الفولاذية انقبضت بأقوى ما يمكنها ، وبدأ
صدره وكأنه يوشك على الانفجار ، واحتقن وجهه فى
شدة ، وهو يجذب الشبكة الثقيلة .
ويجذبها ..



ثم شرع المدفع لان من يد لآخر والمكان في معدنه من

ان يدور على عقبه

ويجذبها ..

وفجأة ، برز امامه اثنان من الحراس ، بعد
تجاوزهما حاجز البخار ، وصرخ أحدهما بعبارة لم
يسمعا (ادهم) ، وهو يشير نحوه ، ثم صوب الاثنان
مدفعيهما الآليين ، و ..

وكان مختبرا للجرأة وسرعة الاستجابة
ففي نفس اللحظة ، اتى صوب فيه الرجلان
مدفعيهما ، تخلص (ادهم) عن الشبكة المعدنية ،
وانقض عليهما :.

وعلى نوافق مدعش ، قبض على معصم أحدهما ،
ودفعه الى اعلى ، في نفس اللحظة التي وثبت فيها
قدمه ، لتركض المدفع الآلي في يد الآخر
وانطلقت رصاصات المدفع الاول في سقف القاعة ،
في نفس لحظة التي برز فيه الحراس الثلاثة
الآخرون ، ومدافعهم مصنوبة نحوه ..

وسرعة مدعشة ركض (ادهم) أحد الحارسين ،
ليدفعه نحو رفقه لثلاثة ، ثم انزع المدفع الآلي من يد
الآخر ، ونكسه في معدته ، قبل ان يسور على عقبه ،
وبعدو نحو الفجوة ، اتى زاح عنها الشبكة بعدما
وصرخ أحد الحراس :

- أطلقوا النار .

وقبل أن يتم عبارته ، انطلقت رصاصات زميليه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب داخل الفجوة ، وغاص في مياهها العميقة ..

واندفع الحراس الثلاثة نحو الفجوة المكشوفة ، وراحوا يطلقون نيرانهم داخلها ، قبل أن يضمم أحدهم : - لم يعد له أثر .

وكان على حق في قوله هذا ..

لقد اختفى (أدهم) في قاع الفجوة الكبيرة ..
اختفى تماماً .

وبلا أثر ..

* * *

أشار (بيرت) بسبابته إلى نقطة ما ، على خريطة الصيانة ، وهو يقول في توتر :

- إنها ممرات صرف المياه الزائدة ، من قاعة التنظيف . إنه يتصور أن باستطاعته عبورها إلى المحيط (*)

عقد المفتش (هاتكس) حاجبيه ، قائلاً :

(*) تطل مدينة (نيويورك) على المحيط الاطلسي

- هذا الرجل باستطاعته أن يفعل كل ما يمكن أن
يخطر أو لا يخطر ببالك .

التفت إليه (بيرت) ، قائلاً في صرامة :
- ولكنه بشري على أية حال .

قال (هاتكس) بسرعة :

- بشري متفوق .

أجاب (بيرت) في عصبية :

- مهما بلغ تفوقه ، فهو بشري ، يحتاج إلى الهواء
على الأكل .

ثم عاد يشير إلى الخريطة ، مستطرداً :

- وهذا ما لن يحصل عليه داخل أتاسيب الصرف ،
التي تمتد لثلاثمائة متر كاملة ، وتتفرع إلى ثلاثة

اتجاهات ، واحد منها فقط يمكن أن يقوده إلى المحيط .
اهتم (هاتكس) في مخبرية ، قائلاً :

- ثقي بأنه سيتخذ هذا الاتجاه بالتحديد .

اتخذ حاجبا (بيرت) في غضب ، وهو يقول :

- قل لي أيها المفتش : إلى أي جانب تنتمي

بالضبط ؟!.. ألم تنتمي إلى أنك تميل كثيراً إلى ذلك
الرجل ، وتتصور أنه قادر على اتخاذ الخطوة الصحيحة

دائماً ؟!

أجابه (هاتكس) فى صرامة :

- ليست مجرد تصورات يارجل .. إنه يقين .. هل
تصورت أنت أنه اختار حجرة الصيانة عشوائيا ؟! هل
راجعتم خرائط الصيانة ، وتأكدتم من أنه لم يحصل على
إحداها ؟! .. هل كنت تظن أن وصوله إلى قبو التنظيف
مجرد ضربة حظ ، وأنه عثر على مدخل أنابيب صرف
المياه بالمصيدة البهتة ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (بهرت) فى شدة ، وهو يتطلع
إلى الخريطة ، وقد بدا له حدوث (هاتكس) منطقيا
لغاية ، ثم ضمخ فى خفوت :

- إذن فالرجل يعلم إلى أين يتجه بالضبط !
وصمت بضع لحظات . قبل أن يضيف فى حزم :
- ولكن هذا لا يهين أن رلتيه تستطيعان الصمود
لفترة طويلة بدون هواء .

أجاب (هاتكس) :

- سيجد وسيلة للتغلب على هذا .

التفت إليه (بهرت) ، قائلا :

- ولو .. حتى لو استطاع كتم أنفاسه طوال المصافة ،
فسيجد أمامه فى النهاية مفاجأة ..

ومال نحو (هاتكس) ، مضيقا فى صرامة :

- مفاجأة قاتلة ..

قالها ، وغادر المكان فى خطوات واسعة سريعة ..
ودون أن يضيف حرفا واحدا ..

* * *

غاص (أدهم) عميقا فى المياه الباردة المظلمة ،
فى فجوة صرف المياه الزائدة ، وراح يمسح عبر
الأنابيب الواسعة ، وهو يتحسس طريقه ، حاملا ذلك
المدفع الآلى ، الذى استولى عليه من حارس السجن ..
كان قد انتزع قطعة القماش المبللة بالنشادر عن فمه ،
ومازال يكتم أنفاسه ، وصدره يختزن كل ما استنشقه
من هواء ، قبل أن يقفز إلى المياه وذراعاه وساقاه
يتحركان فى سرعة ومهارة ، ليندفع جسده بأقصى
سرعة ممكنة عبر الأنابيب ..

وعندما بلغ النقطة ، التى تتفرع عندها أنابيب
السرف ، كان يعرف هدفه جيدا ، فاختار ذلك المسار
فى أقصى اليمين ، وواصل طريقه عبره فى مرونة .

وكان الطريق طويلا بالفعل ..

طويلا حتى أنه استهلك معظم ما يختزنه صدره عن
الهواء ، قبل أن يبلغ نهايته ..

وهنا تتضح أهمية تلك التكريبات المكثفة ، التى يواظب

عليها منذ حدثته ، وقائدة تلك البرنامج المتكامل ،
الذى وضعه والده لتدريبه ، قبل أن يتجاوز الماسحة
من عمره ، والذى ضاعف من قدرة رنتيه على اختزان
الهواء ، واستهلاكه ببطء ملحوظ ..

وعند ما بلغ العشرين من عمره ، ساعته هذه
التدريبات على كسر الرقم القياسي فى الغوص الطويل
تحت الماء ، دون أجهزة مساعدة ..

ولأنه لا يدخن أبداً ، فقد استطاع الاحتفاظ بتلك
القدرة المدهشة لرنتيه ، وتمييزها وصقلها ، طوال
السنوات التالية ..

وعلى الرغم من أنه ، فى عمره الحالى ، يتفوق
فعلياً على بطل العالم فى الغوص الحر ، إلا أن المسافة
كانت أطول مما تصور ، حتى أن الهواء قد نفذ من
رنتيه تماماً ، قبل أن يصل إلى نهاية الأكبوبة ، و ...

وعلى الضوء الخافت ، المتمثل من القمر ، عبر
مياه المحيط ، وقع بصر (آدم) على نهاية الطريق ..
واتخذ حلهاء فى شدة ..

فهناك ، وعند نهاية الأكبوبة مباشرة ، كانت هناك
شبكة من الفولاذ السميك تسد الطريق تماماً ..
شبكة تحمل فى وجودها نهاية مخيفة للصراع ..
ولو جل المستحيل نفسه .

٦ - القطة ..

لم يكد رنين الهاتف يرتفع ، فى تلك الشقة الفاخرة ،
التي اتخذها (توماس كلارك) مقراً لاتحاد القطة ، حتى
وثبت يده تلتقط سماعته ، وقال فى لهفة :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت (بيرت) ، مغمضاً بالتوتر والعصبية ،
وهو يقول :

- أنا (بيرت) .. الموقف هنا معقد للغاية .

سأله (توماس) فى حدة :

- هل نجح تلك الرجل فى الفرار منكم ؟

أجاب (بيرت) فى سرعة :

- كلاً .. لم يفعل هذا بعد ، ولكننا مازلنا عاجزين
عن السيطرة على الموقف .

اتخذ حاجباً (توماس) فى توتر ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى بهذا ؟! هل يسيطر هو على الموقف ؟!

تردد (بيرت) لحظة ، قبل أن يجيب :

- ليس بالضبط .

صاح به (توماس) فى غضب :

- أنا أبغض هذا الأسلوب السخيف ، الذي تتحدث به
يارجل - لو أن لديك ما تخبرنا به ، فأفصح عنه دون
مواربة .

أجابه (بيرت) على الفور :

- لقد نجح الرجل في الفرار من رجالي أكثر من
مرة ، وهو يحاول الفرار الآن ، عبر أنابيب صرف
المياه . وأظننى أعلم إلى أين سينتهى به هذا

سأله (توماس) فى حدة :

- ماذا تعنى بأنك تظن هذا ؟

ازدرد (بيرت) لعبابه فى توتر ، وقال :

- أقصد اننى واثق من الموضع الذى يتجه إليه يا مستر

(توماس) .

ثم استدرج فى ممرعة :

- هذا لو نجح فى الوصول إليه .

التقى حاجبا (توماس) ، وهو يقول :

- الا يمكنك أن تفسر حديثك أكثر يارجل ؟

ازدرد (بيرت) لعبابه مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

- بالطبع يا مستر (توماس) . بالطبع .. كل

ما أقصده هو أن تلك الأنابيب تمتد لمسافة طويلة ،

وربما يلقى مصرعه اختناقا داخلها ، قبل أن يبلغ

المخرج ، وحتى لو لم يحدث هذا ، فسيجد المخرج
مغلقا بشبكة فولانية قوية ، تمنعه من الخروج إلى
المحيط .

سأله (توماس) :

- أنت واثق من هذا ؟

أجابه (بيرت) فى حماس متوتر :

- وبالطبع يا مستر (توماس) . إدارة السجن تعلم

أن هذه الأنابيب يمكن أن تصبح منفذا ، لكل من يحاول

الفرار ، ولهذا أغلقتها بشبكة كهذه

صمت (توماس) بضع لحظات ، وراح عقله يراجع

كل ما قرأه فى ملف (أدهم) وكل ما سمعه من السنيورا

عن قدراته المتفوقة ، قبل أن يسأل (بيرت) فى حزم :

- أين تنتهى تلك الأنابيب ؟

أجابه (بيرت) :

- على مسافة مائة متر داخل المحيط يا مستر

(توماس) ، و سنرسل رجالنا لك طرة على مخرجها

على الفور ، و ...

قاطعه (توماس) فى صرامة :

- كلاً .. لا تفعل هذا .

بهت (بيرت) للجواب ، وهتف فى دهشة :

- لا أفعل هذا ؟!

أجابة (توماس) صارمًا :

- نعم .. لا تفعل هذا .. لا ترسل رجالك إلى منطقة الخروج .. فقط أخبرنا إحدائياتها بالضبط ، وسنتولى نحن الباقي .

لرتبك (بيرت) ، وهو يقول :

- ولكن هذه مسئولية يا مستر (توماس) ، ولولم .

قاطعه (توماس) مرة أخرى في غضب :

- افعل ما أمرك به يا (بيرت) .. إنك لا تتقاضى تلك الراتب الشهري الضخم لتعصى أوامرنا .

احتقن وجه (بيرت) وصوته ، وهو يتمتم :

- كما تأمر يا مستر (توماس) .. كما تأمر .

وانتهى إليه بإحداثيات المكان ، قبل أن يعيد المسماة إلى موضعها ، في حين ظل (توماس) ممسكًا بمسماة هاتفه بضع لحظات ، قبل أن يهتف مناديا زميله (تشارلز دار) ، الذي هرع إليه ، قائلا :

- هل استجد جديد ؟

مد (توماس) يده إليه بورقة تحوى إحداثيات مخرج الأنابيب ، وهو يقول :

- هذا هو الموضع ، الذي سيظهر عنده (أدهم

صبرى) . إذا ما نجح في الفرار من السجن

قرأ (تشارلز) الإحداثيات بسرعة ، قبل أن يقول في دهشة :

- وكيف عرفت هذا ؟

أجابة (توماس) :

- سأشرح لك كل هذا فيما بعد ، أما الآن ، فخذ الفريق الذى اتخبناه أمس ، واذهبوا لنقاء الرجل هناك .

مط (تشارلز) شففيه ، وهو يقول :

- الأمر لا يحتاج إلى فريق يا (توم) . كل ما أحتاج إليه هو زورق بخارى ، وعندما يظهر ذلك الرجل ، سأسف رأسه برصاصات مدفعي ، و ...

قاطعه (توماس) في صرامة :

- استدع الفريق يا (تشارلز) . لا داعى لأن نكرر الخطأ نفسه مرتين .. لا أريد أدنى احتمال للفشل هذه المرة ..

اتعقد حاجبا (تشارلز) في ضيق ، ولكنه ، وبناء على أسلوب العمل المتفق عليه ، لم يحاول الاعتراض هذه المرة ، وهو يقول :

- كما ترى يا (توم) .. كما ترى .

والتقط سماعة الهاتف . ليجرى اتصالاته . فى تلك
الساعة المتأخرة . بفراد فريق القتل . لذين يمثلون
نصف أعضاء الاتحاد ..

اتحاد القتل ..

* * *

كل ثانية تمضى كان لها ثمنها . فى تلك التحفظات
العصية ..

مخزون الهواء فى ربتى (ادهم) نعد كله تقريبا
والتعب قد بلغ منه مبلغه ..

والطريق مغطى امامه بشبكة قوية من الصلب .
وف من سبين اخر يخرج من المكان

ولم يكن الامر بحاجة الى الكثير من التفكير . إذ
لم تكن أمام (ادهم) سوى طريقة واحدة .

أو محاولة واحدة للنجاة ..

وبلا تردد . صوب نسمع لالى بر حافة الشبكة .
وأطلق النار ..

كانت قوة رشاد المدفع لاسى عيفة . فى قلب العميد .
مع دفع جسده الى خلف بحرين كصين

وسكن ترصد صلات حاد شبكة . عند ذلك
الجزء الذى يثبتها بجوانب الأنبوبة ..

ودون ان يضع ثانية واحدة . سبح (ادهم) نحو
الشبكة . ودفع ماسورة المدفع بين فتحاتها . ثم أسند
ظهره الى الجدار . ودفع قدميه فى الجدار المقابل .
وراح يضغط ..

وبكل قوته ..

ثم يكن الامر هين او بسيطاً . اما احتاج منه الى
جهد اخر فى . استهلك البقية الباقية من الهواء فى
صدره . قبل ان يفصل جانب الشبكة عن جدار الأنبوبة .
وبترك فجوة كافية لعبوره ..

واختلق صدره بشدة . وكانت رتد تنفجر ن . وهو
يعبر تلك المحوة . ثم يصرب الماء بدر عيه وساقيه .
فى محاولة للصعود الى السطح . قبل ان يسهر جسده .
مع النقص الشديد فى الأكسجين ..

والواقع انه فى هذا الموقف بالتحديد تحلت قوة
الارادة الفولاذية . التى يتمتع بها رجل مثل (ادهم صبرى)

مقد بين جهدا خرفا . مد هجم ذلك الحارس . فى
حجرة لقاء الحصاة . ووجه لحظر تلو الآخر . ثم
انتهى به الامر الى ذلك الموقف العصيب . دون ان
يتطرق بيس الى نفسه لحظة واحدة
ودون ان يفقد الأمل فى النجاة قط ..

حتى في تلك اللحظة ، عندما غامت الدنيا أمام
عينيه . وأوشك على الوقوع في غيبوبة عميقة . مع
النقص الحاد في الأكسجين ، لم ينجح اليأس في التسلل
إلى عروقه أبدا ..

ثم برز رأسه على السطح بفتة ، وتدفق الهواء عبر
أنفه ، ليملأ رئتيه اللتين شارفتا الانطياق ..

وربما كان هذا أجمل هواء استنشقه في حياته كلها .
لأنه هواء الحياة ، الذي ملأ صدره ، وأيقظ عقله .
وأعاده إلى عالم الأحياء ، لتتمتع حواسه كلها دفعة
واحدة ..

وهواء الحرية ، الذي يعني أنه نجح
ونجا ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، ترك (أدهم) جسده
يسترخي ، ويتمدد فوق مياه المحيط ، وراح يتطلع إلى
القمر في صمت ، ليستعيد نشاطه وقوته ، ويضع خطة
الساعات القادمة ..

من المؤكد أن خروجه من هذا المازق لا يعني أن
المشكلة قد انتهت ..

سيُدرس رجال الأمن في السجن الأمر ، وسيستتجون
حتمًا أن هذا هو السبيل الوحيد أمامه للفرار ، ولن

تمضي دقائق معدودة ، حتى يجدهم حوله في كل مكان ..
وحتى لو نجح في الإفلات منهم ، فما زالت القضية
الرئيسية أمامه ..

ما زال السفير المصري مختطفًا ..
وكنذك (منى) ..

ولم يكذ يصل بتفكيره إلى هذه النقطة بالتحديد ، حتى
انعقد حجاباه في شدة ، وعادته تلك الموجة الكاسحة
من الغضب ..

إن فاولك الأوغاد قرروا اللجوء إلى الجانب القدر
للعبة ..

واختاروا (منى) كسلاح لتحطيمه ..

اختاروها : لأنهم يعلمون أنها المخلوق الوحيد في
الكون كله ، الذي لن يتردد لحظة واحدة في التضحية
بحياته نفسها من أجله ..

ولكنهم سيندمون على خطوتهم هذه ..

لقد أقسم أن يدفعوا ثمنًا فادحًا : لأنهم فكروا في هذا
ولأنهم أقدموا عليه ..

ومع صورة (منى) ، التي تعاضمت ، لتملأ كيانه
كله ، وتحيط بعقله ، الذي خفق من أجلها في قوة ،
استعاد (أدهم) هزمه ونشاطه وحماسه وقوته ، وراح

يضرب الماء بقراعيه ، ليسبح مبتعدا عن المكان ، قيل
أن يصل هراس السجن ..
ومن المؤكد أنه استعداد الكثير من حاسة السمع
أيضا ..

هذا ، لأنه سمع في وضوح هدير الزورق البخارى .
الذى يتجه نحوه مباشرة ، والذي ضم ثلاثة من القتلة
المحترفين ..

(تشارلز دار) و (تونى وينكوكس) ، خبيرا الأسلحة
و (آرثر ميلوسكى) ، خبير المتفجرات والمفرقات
وفى نفس اللحظة ، التى التقطت فيها أذناه هدير
الزورق ، كان (تشارلز دار) يراقبه عبر المنظار
المقرب لبندقينه ، المروء بجهاز خاص للرؤية الليلية ،
ويغمغم فى جدل ظافر :
- ها هوذا .

تبادل زملاؤه الأربعة نظرة سريعة . قبل أن يغمغم
(آرثر) :

- إذن فقد نجأ .

أجابه (تونى) فى صرامة :

- مؤقتا .

ثم ادر عينيه الى (تشارلز) ، مستطردا فى حزم .

- أمازلت تراه فى وضوح ؟

أوما (تشارلز) برأسه إيجابيا ، فأتعقد حاجبا
(تونى) ، وقال :

- فيم انتظارك إذن ؟

ارتسمت على شففى (تشارلز) ابتسامة وثقة
ساخرة ، وهو يقول :

- على الرعب والسعة ..
وضغط زناد البندقية ..

* * *

أتعقد حاجبا المفتش (هاتكس) فى شدة ، وهو
يرمق (بيرت) بنظرة غاضبة ، قائلا فى حدة :

- ما الذى تعنيه بأنتك لن تبلغ رؤساءك بأمر فرار
الرجل ، عبر أنابيب صرف المياه ؟ المفترض أن يتم
إرسال فريق لاستقباله ، عند مخرج الانابيب

قال (بيرت) فى عصبية :

- لن يمكنه الوصول إلى المخرج حيا

هتف (هاتكس) :

- ليس من حقتك أن تقرر هذا . أبلغ رؤساءك

فحسب ، ودعهم يتحدثون ما يرونه مناسبا .

نار (بيرت) إلى صدره ، قائلا فى حدة :

- أي رؤساء ؟ .. أنا رئيس الأمن هنا ، والمسئول الأول عن سلامة الجميع ، وعن النظام والقوانين في السجن ، وأنا وحدي أقرر ما ينبغي فعله

صاح به (هاتكس) :

- فليكن يارجل ، ولكن الشخص الذي يملك وحده اتخاذ القرار ، يتحمل وحده كل عواقبه أيضا

هتف (بيرت) بدوره :

- بالضبط ، وأنا مستعد لتحمل كل العواقب أيها المفتش ، وسأخذ كل القرارات ، وأولها قرار كن ينبغي أن أتخذه منذ البداية ،

والتفت إلى أحد رجاله ، مستطردا في غضب :

- اصطحب المفتش (هاتكس) إلى حجرة التحقيقات الداخلية ، وأغلقها عليه في إحكام ، وضع أمامها اثنين من أقوى رجالنا ،

هتف (هاتكس) مستكرا في دهشة :

- هل تجرؤ على سجنى يا رجل ؟

استدار إليه (بيرت) ، وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وأطلت شرور الدنيا كلها من عينيه ، وهو يقول ، مكملا حديثه مع الحارس :

- وممر الرجلين بنسف رأس مفتشنا العزيز ، لو

حاول .. مجرد محاولة - أن يغادر حجرة التحقيقات الداخلية .. هل سمعتنى جيدا ؟

بدا الغضب على وجه المفتش (هاتكس) ، وأطل من عينيه ، وفي صوته المختلق ، وهو يقول :

- فليكن يارجل .. هذا الموقف لن يستمر إلى الأبد ، وسينتهى إن عاجلاً أو آجلاً ، وعندئذ سيكون عليك أن تراجع حياتك السابقة كلها ، فسأتحري عن كل خطوة خطوتها ، منذ تعلمت المشي ، ولو وجدت ثغرة واحدة ، فأقسم أن أجعلك تدفع ثمنها غاليا

احتقن وجه (بيرت) ، وهو يصرخ في ثورة :

- أخرجوه من هنا

دفع الحارس (هاتكس) أمامه في قسوة وخشونة ، في حين تتحجج حارس آخر في حرج ، قبل أن يتمم :

- الواقع يا سيدي أنه توجد بعض الحقيقة فيما يقول ، فمن المنطقي أن نرسل فريقا من رجالنا إلى حيث المخرج ، و ...

قاطعه (بيرت) في غضب :

- قل لي يارجل : من يملك سلطة إصدار القرار هنا ؟ هل تتصور أن ذلك الرجل من القوة ، بحيث يمكنه أن يظل حيا ، حتى يبلغ المخرج ؟

بدا التردد على الحارس ، وهو يفهم :

- من يدري ؟ .. ربما لو ...

قاطعه (بيرت) فى حدة :

- أنا واثق من أنه لن ينجح فى هذا .. ولقد قطعها

سيمنعه الحاجز ..

نطقها بلهجة لم تنجح حتى فى إقناعه ..

ففى أعماقه ، لم يعد (بيرت) واثقا من أن أى شيء

يمكن أن يقف فى سبيل (آدم صبرى) .

أى شيء .

* * *

فى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها (تشارلز) زناد

بندقيته ، غاص (آدم) بفتة فى مياه المحيط ..

وانعقد حاجبا القاتل المحترف ، عندما طاشت

رصاصته ، وغاصت فى الماء ، دون أن تصيب هدفها .

وفى حدة ، هتف :

- اللعنة !

تبادل (تونى) و (آرثر) نظرة شديدة التوتر . قبل

أن يسأل الأخير :

- ماذا حدث ؟ .. هل أخطأته ؟

أجاب (تشارلز) فى عصبية :

- لقد غاص فى الماء ، قبل أن أضغط الزناد بجزء

من الثانية .

هب (تونى وينكوكس) ينقذ بندقيته بدورده ، وهو

يقول :

- هذا الوغد محفوظ بحق .

هز (تشارلز) رأسه نعيًا ، وقال فى انفعال

- لست أعتقد أنها مسألة حظ يا رجل . لقد سمع

صوت محرك الزورق ، والتفت إليه ، ورأى بندقيتى

مصوبة إليه ، و ...

قاطعه (آرثر) فى عنف :

- أى قول هذا يا رجل ؟ هل تعتقد أن سرعة

استجابة هذا الرجل تفوق سرعة استجابتك كقاتل

محترف ؟!

أجاب (تشارلز) :

- ملفه يؤكد أنه يمتلك سرعة استجابة مذهلة

هتف (آرثر) :

- ليس إلى هذا الحد .

قالها ، وهو يقود الزورق نحو البقعة ، التى غاص

فيها (آدم) ، وراح يدور حولها فى ببطء ، ويراقب

سطح الماء على ضوء القمر ، قبل أن يسأل فى حيرة

- قل لي يا (تشارلز) : أنت واثق في أن رصاصتك
لم تقتله ؟ .. من المستحيل أن يبقى تحت سطح الماء
كل هذا الوقت .

رفع (تونى ويلكوكس) بندقيته المزودة بكاتم
للصوت ، ومنظار للرؤية الليلية إلى عينيه ، وراح يدور
فيما حوله ، مستخدماً المنظار في البحث عن (أدهم) ،
وهو يغمغم ؟

- ربما سبح تحت الماء مبتعداً ، ولكنه لن يذهب
بعيداً بالتأكيد .

اتخذ حاجباً (تشارلز) ، وهو يغمغم :
- لو أن ما قرأناه في ملفه صحيح ، فهو لن يبتعد
عن هنا .

مائله (آرثر) في قلبي :

- هل تعتقد هذا ؟

أوماً (تشارلز) برأسه إيجابياً ، قبل أن يقول في
هزم :

- بالتأكيد ، فمثله سيدرك فوراً أن محاولات الفرار
ستجعله هدفاً أسهل ، وسترهقه أكثر وأكثر ، وأن أفضل
ما يفعله ، في موقف كهذا ، هو أن يطبق مبدأ (نابليون) .
اتخذ حاجباً (آرثر) في تساؤل ، وغمغم (تونى) :

- مبدأ (نابليون) ؟

أوماً (تشارلز) برأسه إيجابياً ثانية ، وهو يقول :

- نعم .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

لم يكذب ينطق عبارته ، وقبل حتى أن ينتهي من
حروف كلمتها الأخيرة ، برز (أدهم) بفتة من تحت
الماء ، وقبض على بندقية (تونى) ، وجذبه معه إلى
مياه المحيط ، وغاص الاثنان تحت الماء في سرعة
مدهشة ، جعلت (آرثر) يصرخ :

- للشيطان ! .. إنه يهاجم بالفعل .

استدار (تشارلز) بسرعة مذهشة إلى حيث غاص
(أدهم) و (تونى) ، وأطلق رصاصات بندقيته ،
فصاح به (آرثر) :

- هل جئت يا رجل ؟ .. (تونى) معه بأسفل .

صاح (تشارلز) :

- لولم أقبل هذا للحقاً به هناك .

لتسعت عينا (آرثر) في ارتجاع ، إلا أنه لم يعترض ،
وراح يحدق في سطح الماء ، قبل أن يهتف :

- انتظر ..

التفت إليه (تشارلز) في حدة ، فأردف منوفاً بيده :

- لقد التفت بوجهة نظرك .. من الخطأ أن نحاول

إنقاذ (تونى) الآن .. الأكثر أهمية أن نقضى على ذلك الرجل .

قائلها ، وهو ينتقط من حقيته جسما معدنيا . أشبه بكرة تنس ، فسأله (تشارلز) فى عصبية :

.. ما هذا بالضبط ؟

أجاب (آرثر) فى حزم :

.. كنت أتوقع موقفا كهذا ، فأحضرت بعض قنابل الأعماق .

نطق عبارته ، وهو ينتزع قنبل قنبلة الأعماق ، ثم يلقها فى الماء . مستطردا فى صرامة .

.. فليكن . احتفظ بصديقتنا (تونى) فى الأعماق أيها المصرى ، ولتصعد روحكما معا إلى الجحيم .

وفى الأعماق دوى الانفجار ..

انفجار يكفى للقضاء على أى مخلوق حى ، تحت سطح الماء ..

أى مخلوق بلا استثناء

* * *



رود دهم معه من حب الماء ، وليس على سدفية (تونى) .

وحديه معه إلى مياه المحيط ..

٧ - ساعات الخطر

ارتسم الغضب بأشجع صورة ، على وجه الجنرال (تورنسول) ، وهو يهتف في وجه الضابط المسئول عن مركز الأسلحة التجريبية :

- ماذا تعنى بأنك لا تستطيع منحى الأسلحة المطلوبة إليها الملازم ١٢ ..

كيف تجرؤ على عصيان أمر رئيسك على هذا النحو ؟ زفر الملازم في حدة . قبل أن يشد قامته أكثر ، ويقول :

- تقبل أسفى واعتذارى يا سيدى الجنرال ، ولكن التعليمات مشددة للغاية فى هذا الشأن ، وخصوصا مع الأسلحة التجريبية الحديثة ، مثل مشروع (السوبرمان) ، ومن المحتمل أن أتلقى موافقة السيد وزير الدفاع شخصيا ، أو ..

قَطَعَهُ (تورنسول) فى عصبية :

- سأعمل المسئولية كلها .

تردد الملازم بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- معذرة يا سيدى الجنرال ، ولكن ..

تدفزت شياطين الغضب من عيني (تورنسول) ، وهو يستل مئذنه من غمده ، ويلوح به فى وجه الملازم ، صارخا :

- لا يوجد لكن أيها الملازم .. إنها حالة طوارئ قصوى ، وستسلمنى هذه الأسلحة فوراً ، وإلا نسفت رأسك... هل تفهم ؟

امتقع وجه الملازم ، وهو يتراجع ، قائلا :

- سيدى الجنرال .. هذا مخالف للقوانين ، و ...

قَاطَعَهُ (تورنسول) فى غضب أكثر :

- إذن فأنت لم تفهم ..

تراجع الملازم مرة أخرى ، وازداد وجهه شحوبا وامتقاعا ، وانفجرت شفاته ، وكأنه يهم بقول شيء ما ، ثم لم يلبث أن ضمهما ، وزفر مرة أخرى فى حرارة ، قبل أن يقول :

- فليكن يا سيدى الجنرال .. إنك لم تترك لى الخيار .. سأسلمك مشروع (السوبرمان) كله ، ولكننى سأقدم تقريراً لإخلاء مسئوليتى ، أقرر فيه أنك استوليت على زى وأسلحة المشروع بالقوة .

اتعقد حاجبا (تورنسول) فى شدة ، مع هذا التهديد الصريح ، وارتسمت أمام عينيه صورة وهمية لما

يمكن أن يصنعه هذا بمستقبله ، وانطلق عقله يبحث
عن مخرج من هذا الموقف ، دون أن يريق ماء
وجهه ، و ..

وجاء المخرج بغتة . وعلى نحو غير متوقع .
لقد اندفع إليه (جاك) بغتة ، وهو يقول فى الفعل
منحوظ :

- سيدى الجنرال . لقد حدث تطور غير متوقع .
استدار إليه (تورنسول) فى توتر شديد ، فالتفت
(جاك) على أذنه ، هامسا :
.. جاسوسنا فى السجن أبلغنى أن الهدف لقى مصرعه .
انفص جسد (تورنسول) فى عنف ، وهو يهتف :
.. ماذا ؟ !

تابع (جاك) فى سرعة : -

- إنه يؤكد هذا ، ويشير إلى وقوع انفجار ما فى
المحيط ، على مسافة بضع عشرات من الأمتار من
السجن ، وأن فريقا من الحراس خرج لاستطلاع الأمر ،
وعثر على جثته ممزقة .

انعقد حاجبا (تورنسول) أكثر وأكثر ، وامتلا جسده
بتوتر وانفعال لا حصر لهما ، مع صرخة شك فى
أعماقه ، تعهد بلا توقف ..

أيمكن أن ينقى (أدهم صبرى) مصرعه على هذا
النحو ؟ ! ..

أيمكن أن ينجح فى الفرار من السجن المركزى ، بكل
أسواره وقضبانه ، ونظم أمنه الحديثة المعقدة ، ثم
يقتله انفجار عادى ؟ ! ..

ثم من أين جاء ذلك الانفجار ؟ وكيف حدث ؟ !
انطلقت عشرات الأسئلة فى رأسه ، وأجمت لساته ،
فخفض يده المعسكة بالمسدس فى حركة آلية ، وازداد
انعقاد حاجبيه حتى كادا يمتزجان ببعضهما ، وخاصة
عندما اتزاحت كل الأسئلة جاثبا . وبقي سؤال واحد ،
يملا كبائه كله ..

ترى هل لقي (أدهم) مصرعه بالفعل ؟ !
هل ؟ ! ..

* * *

من المؤكد أن وجود ذلك الزورق ، بالقتلة الثلاثة
على متنه ، كان مثار دهشة (أدهم) وحيرته
ولكن من المؤكد أيضا أنه ما من دهشة . مهم بلغت
قوتها ، يمكنها أن تفقد رجلا مثله القدرة على التفكير
المسلم ، وحسن معالجة الأمور ..
لقد لمح (أدهم) الزورق ، والبندقية التى يصوبها

إليه (تشارلز) في ضوء القمر ، فغاص في مياه المحيط في سرعة ، واختفى عن بصر هذا الأخير ، في نفس اللحظة التي أطلق فيها رصاصته ..

وعلى الرغم من الفترة الطويلة ، التي قضاها تحت سطح الماء ، وهو يجاهد للفرار من سجنه ، استطاع (أدهم) كتمان أنفاسه لفترة أخرى ، حتى اقترب الزورق البخاري من موضعه ، وراح يدور حول النقطة التي غاص فيها ..

وفي حذر ، ارتفع (أدهم) بجسده ، إلى قرب السطح ، ولمح (توني) ممسكا بندقيته محاولا البحث عنه . بومسطة المنظار المجهز للرؤية الليلية ، فدفع جسده إلى أعلى ، وانقص عليه ، وجذبه معه إلى الماء .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (توني) ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، تصرف بسرعة مذهلة ، كأي محترف حقيقي ، وأدار فوهة بندقيته ، محاولا إطلاق النار على (أدهم) ، تحت سطح الماء ، إلا أن (أدهم) أبعد فوهة البندقية عنه في حركة سريعة ، ثم لوى ذراع الرجل خلف ظهره ، ودفعه إلى الأمام ..

كأن قد فقد المدفع الألى ، مع خروجه من أنابيب الصرف ، فانتزع البندقية من يد (توني) في قوة ، على الرغم من المقاومة المستميتة لهذا الأخير ، الذي

دار حول نفسه ، وقبض بأصابعه القوية على عنق (أدهم) ..

وفي نفس اللحظة ، لمح (أدهم) القبلة .. قبلة الأعماق ، التي ألقاها (آرثر) خلفهما ، ليقضى عليهما مغا ..

وكعادة (أدهم) ، اشتعلت سرعة استجابته ، وبلغت حدتها الأقصى في جزء من عشرة أجزاء من الثانية ، فاستجمع قوته ، ودفع قدميه في صدر (توني) ، وقبض على معصمه بأصابع فولاذية ، وانتزع يده عن عنقه ، قبل أن يضرب صدره في قوة ، فيلقيه بعيدا عنه ، ويضرب الماء بذراعيه وساقيه بكل قوته ، محاولا الابتعاد عن المكان ، و ...

ودوى الانفجار في الأعماق ..

انفجار عنيف ، مزق جسد القاتل المحترف ، الذي تلقى قوته كلها ، في نفس اللحظة التي لحقت فيها موجته التضاغطية القوية بجسد (أدهم) ، فدفعته إلى الأمام في عنف ، وكانت تمزق أذنيه ، لولا أن غطاها بكفيه بكل قوته ، وضم ركبتيه إلى صدره ، واستسلم لقوة الدقع تماما ، في محاولة لتقليل أثرها إلى أهون حد ممكن ، كما تعلم في تربيّات الفوص ، منذ أكثر من عشرين عاما مضت ..

وعلى الرغم من ابتعاده عن مركز الانفجار لمسافة
معتولة ، ومن الإجراء السريع الدقيق الذى اتخذه ، إلا
أن صدره كاد يتمزق من شدة الانفجار ، وانطلق صفير
عنيف فى أذنيه ، كاد يخترق رأسه ، مع صراع مباغت
رهيب ، استغرق ثوان معدودة ، قبل أن يهدأ الموقف
كله . وتلاشى الأعراض كلها دفعة واحدة ..
ولثوان أخرى ، خيل له (أدهم) أنه يسبح فى بحر
من الصمت والمكون ، أو أن حركة العالم كله قد
توقفت بفتة . فصار أشبه بلقطة جامدة ، على مسرح
الحياة ..

ثم استعادت حواسه كلها نشاطها دفعة واحدة .
كان قد بذل ، خلال ما يزيد قليلا على الساعة ، جهدا
خرافيا ، يفوق قدرات أى بشرى عادية ، إلا أنه .
وعلى الرغم من هذا ، كان يدرك جيدا أن معركة لم
تنته بعد ..

ونظرة واحدة إلى الزورق البخارى ، الذى يدور
حول المكان ، كانت تكفى لتأكيد هذا الأمر ..
وعلى متن هذا الزورق ، كان (تشارلز) شديد
التوتر ، يقول فى عصبية :
- لا يمكننى فهم ما فعلته يا (آرثر) لقد فعلت

زميلا لنا بلا تردد .. لو علم (توماس) بهذا سيثور
ثورة عارمة .

أجابة (آرثر) فى خفونة :

- فليضرب (توماس) رأسه بالجدار لو أراد ،
ولكنها كانت الوسيلة الوحيدة لدينا ، للتخلص من الهدف .
صاح (تشارلز) فى غضب :

- أى هدف ؟! .. لقد نسفتها معا . (تونى) وذلك
المصرى ..

صرخ (آرثر) :

- ألم تفهم بعد يا رجل ؟! .. هل نسيت ما قرأناه فى
ملف ذلك المصرى ؟! .. لقد انتهى أمر (تونى) بالفعل ،
عندما ظفر به (أدهم) هذا . كل ما فعلته أنا هو أننى
سحقت القط والفار معا بضربة واحدة ، بدلا من أن
انتظر لمعرفة أيهما سيفوز ، ثم أخسر الاثنين ، ومعهما
حياتى وحياتك أيضا .

صاح (تشارلز) .

- ألم تضع فى اعتبارك أدنى احتمال لفوز (تونى) ؟
أطلق (آرثر) ضحكة ساخرة عصبية ، قبل أن يقول :
- فوزه ؟! .. من الواضح أنك لم تعد تصلح للعمل
يا رجل .. صحيح أن (تونى) كان خبيرا بكل أنواع
الأسلحة ، إلا أنه ، بالنسبة للقتال اليدوى المباشر ،

لا يمكنه أن يتفوق على متشرد من (هارلم) (*) ، فما
بالك بمحترف من الطراز الأول ، مثل (أدهم) هذا ؟
اتعتقد حاجبا (تشارلز) محاولا استيعاب هذا المنطق ،
قبل أن يقول في تردّد :

- ربما كان هذا صحيحا ، ولكن ..

قاطعه (آرثر) في هزم :

- لكن ماذا ؟ . ها هي ذى النتائج أمامك واضحة ..
صحيح أن قبيلتي سحقت عزيزنا (تونى) ، ولكننا
سنقيم له بالتأكيد حفل تأبين رائع ، وستحصل أرملة
على رقم من ستة أصفار ، يعوضها عن فقده ، طبقا
لقانون الاتحاد ، وأراهنك على أنه لن يمضى عام واحد ،
حتى تكون قد تزوجت شابا أفضل وأكثر وسامة منه ،
ولكن الأكثر أهمية هو أن القبيلة لم تسحق (تونى)
وحده ، وإنما سحقت معه ذلك المصرى ، الذى ..

قاطعه فجأة صوت ساخر ، يقول :

- وربما لم تفعل .

استدار (آرثر) بسرعة مذهشة إلى مصدر الصوت ، فى
نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) داخل الزورق ،
وركله ركلة مباشرة قوية فى أنفه ، قبل أن يستدير
لمواجهة (تشارلز) ، الذى التفت إليه ببندقية ، هاتفا :

(*) هارلم : هى الزوج فى (نيويورك)

- مستحيل ! .. المفترض أن تقتلك القبيلة .
أزاح (أدهم) البندقية بضربة سريعة من راحته
اليسرى ، وهو يقول :

- تقم بشكوى عندها .

ثم هوى على فك (تشارلز) بلكمة كالقبيلة ،
مستطردا :

- أو ضد من ألقاها .

سقط (تشارلز) داخل الزورق ، فى نفس اللحظة
التي التقط فيها (آرثر) قبيلة ، وصرخ وهو يحاول
جذب صمام الأمان منها :

- من ألقاها سيحرقك بأخرى ، تسحقك سحقا .

دار (أدهم) حول نفسه فى سرعة ورشاقة ، وركل
القبيلة من يده ، قبل أن ينتزع الصمام منها ، فاطاح
بها بعيدا ، لتسقط فى المحيط ، ثم ركله فى فكه بالقدم
نفسها ، قائلا فى صغرية :

- هذا لو وجد الوقت الكافى ليفعل .

ارتطم رأس (آرثر) بحلجز الزورق ، إثر ركلة
(أدهم) فسقط فاقد الوعي ، فى حين حاول (تشارلز)
التنهوض ، وهو يهتف ، والدم يتناثر من بين شفتيه :

- لا يمكنك أن تفعل بنا هذا .. لا يمكنك .

قبض (أدهم) على ياقة سترة (تشارلز) ، وجذبه
منها في قوة أجبرته على النهوض ، والوقوف على
قدميه ، وهو يسأله في صرامة مخيفة :

- من أرسلكم لقتلي ؟

ارتجفت أوصال (تشارلز) ، وحاول أن يبتسم ،
متظاهرا باللامبالاة ، وهو يقول في عصبية :

- هل تتوقع مني أن أخبرك ؟

جاءت كلماته خائفة مرتجفة ، على الرغم منه ،
فمال (أدهم) نحوه ، وضع قبضته في قوة ، وهو
يتطلع إلى عينيه مباشرة بنظرة قاسية مخيفة ، قائلا :

- نعم أتوقع منك أن تفعل ، قبل أن أجبرك على
هذا ، بعد تحطيم صف أسناتك الأمامية ، وسحق أنفك ،
وربما ما هو أكثر .

شحب وجه (تشارلز) في شدة ، على الرغم من
اعتياده مواجهة المخاطر ، وبذل جهدا خرافيا ؛ ليقول
بصوت مختلق متحرج :

- لا تنس أنني محترف .

وانتفض جسده في رعب ، عندما أجابه (أدهم)
بلهجة صارمة ، تكفي لتجميد الدماء في عروق أشجع
الفرسان :

- وأنا كذلك .

وارتجفت شفثاه لحظة ، قبل أن يفهم في شحوب :

- إنها .. إنها المننيورا .

مرت موجة من الغضب في عروق (أدهم) ، عندما
سمع الجواب ، وسأل الرجل في صرامة ممتزجة بالغضب :

- أين هذه المننيورا ؟ .. كيف تلقيت الأوامر منها ؟

أجابه (تشارلز) بسرعة :

- لست أدرى .. لم ألتق بها ، أو ألتق منها الأوامر
قط .. إنه (توماس) الذي التقى بها هناك ، في قصرها ،
و ...

قاطعه (أدهم) :

- في قصرها ؟! .. أين هذا القصر ؟!

انفرجت شفثا (تشارلز) ، وهم بإجابة السؤال ،
عندما ارتفع فجأة صوت (آرثر) ، وهو يقول في
غضب :

- إياك أن تخبره .

التفت (أدهم) في سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى
(آرثر) يختطف بندقيته (تشارلز) ، ويصوبها إليه ،
صارخا :

- قبل أن أرسله إلى الجحيم .

انحنى (أدهم) فى سرعة مذهشة ، وتفادى الطنق
النارى ، الذى خرج من فوهة البندقية ، ثم ركلها من
يد (آرثر) ، قائلا :

- أمثالى لا يذهبون فى المعتاد إلى الجحيم يارجل .
تراجع (آرثر) فى حركة غريزية ، فى نفس اللحظة
التي انقضت فيها (تشارلز) على (أدهم) ، وطوقه
بذراعيه ، صارخا :

- اقله يا (آرثر) .. اقله .

دفع (أدهم) مرفقه إلى الخلف بكل قوته ، وغاص
به فى معدة (تشارلز) ، ثم أدار يده الأخرى إلى ما وراء
ظهره ، وقبض على عنق هذا الأخير ، ومال إلى الأمام
فى سرعة وبراعة ، ليلقى به فى عنف ، فوق (آرثر) ،
الذى صرخ فى جنون :

- لن تنتصر أبها المصرى .. لن تنتصر أبدا

قالها ، وهو ينتزع من حزامه قبلة ، ويجنب صمام
الأمان بها ، ثم يلقيها نحو (أدهم) ، الذى استقبلها
بركبة محدودة ، أعانته إلى مرسلها ، فارتطمت بصدر
(آرثر) ، وسقطت عند قدميه ، و (تشارلز) يصرخ
فى رعب هائل :

- ماذا فعلت أبها المجنون ؟

ومع صرخته ، وثب (أدهم) خارج الزورق ، و ...
ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالزورق ، والقاتلين المحترفين ، ودفع
جسد (أدهم) ثلاثة أمتار فى الهواء ، قبل أن يسقط
فى الماء ، وآلام رهيبية تصرخ فى ظهره ، ورأسه
يدور فى شدة ..

وعلى الرغم من المياه الباردة ، التي غاص فيها
لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يجاهد للعودة إلى السطح ،
لم ينتعش ذهنه ، ولم يعد أبدا إلى صفاته ، مع قوة
وعنف الانفجار ، وراح يضرب الماء بمساقيه وذراعيه ،
محاولا البقاء على السطح ، ومقاوما ذلك الدوار
الضيف ، الذى أحاط برأسه ..

ومن بعيد ، لاح له زورق بخارى آخر يقترب ،
وتناهى هدير محركه إلى أنفيه ، فتحفظت حواسه كلها ،
وحاولت أن تقاوم تلك الغيوبة القوية ، التي هاجمت
عقله فى عناء واستماتة ، و ..

ولكن حتى (رجل المستحيل) مجرد بشرى ، ومهما
بلغت طاقاته وقدراته ، فلا بد لها من نقطة انهيار ..
نقطة تعجز معها عضلاته وحواسه عن الاستمرار ،
وعن مقاومة الألم والجهد والعذاب ..

نقطة الممر إليها جسده بعته ، والزورق البخارى
الآخر يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعند هذه النقطة ، أظلمت الدنيا كلها أمام عيني
(أدهم) ، وانهارت حوامه كلها ، ولم يستطع جسده
البقاء على سطح الماء ، فراح يغوص ، ويغوص ،
إلى أعماق المحيط ..

* * *

« وما زالت محاولات البحث مستمرة ، للعثور على
جثة الهارب .. »

نطق مذيع محطة (س إن - إن) الشهير العبارة ،
وشاشة (التلفزيون) تتقل صورته ، وهو يقف عند
حافة المياه ، ومن خلفه اتهمك فريق الأمن بالمسجن ،
في محاولة البحث عن جثة (أدهم) ، والشمس تشرق
في الأفق ، وتابع الرجل في حماس واضح ، امتاز به
أسنوبه كمذيع معروف :

- وحتى الآن ، تم العثور على ثلاث جثث ، لثلاثة
رجال يرتدون ثيابا كانت أنيقة ، قبل أن يمزقها
ويزرقهم انفجار عنيف ، نصف زورقا بخاريا كانوا

يستقنونه ، بالقرب من المسجن ، وفي البداية ، تصور
رجال الأمن هنا أن الجثة الأولى ، التي تم انتشالها ،
هي جثة الهارب ، وأعلنوا هذا رسميًا ، إلا أن مفتش
الشرطة الفيدرالية (دين هاتكس) استنكر هذا ، وأكد
أن الجثة ليست جثة الهارب حتما ، وأيد قوله هذا
العثور على بقايا الزورق البخارى ، والجثتين
الأخريين ، وأقوال بعض شهود العيان ، الذين أكدوا
رؤيتهم لزورق بخارى آخر ، اقترب من المنطقة
نفسها ، بعد انفجار الأول مباشرة ، وبقي لدقيقة واحدة
أو يزيد ، ثم ابتعد بأقصى سرعته ، قبل وصول فريق
البحث .. ولو ثبت أن ذلك الرجل ، الذى تم إلقاء القبض
عليه ، بعد معركة المستشفى المركزى ، قد نجح فى
الفرار سالما ، تكون هذه هي الحالة الأولى من نوعها ،
التي ينجح فيها شخص ما ، فى الفرار من المسجن
المركزى ، خلال السنوات العشرين الأخيرة ، و ...
اتعهد حاجبا (السنيورا) فى غضب ، وهي تقول فى
حدة :

- أغلقى هذا الجهاز اللعين .. لقد سئمت حديثهم عن
(أدهم صبرى) هذا ، كما لو كان أسطورة حية .
أسرعت مساعدتها تضغط زر جهاز التحكم عن بعد
(الريموت كنترول) ، وهي تقول :

- المفترض أنه كذلك بالفعل .

مطت (السنيورا) شاكتيها في غضب ، وهي تقول :

- حتى الأساطير لها نهاية .

وأشعلت سيجارتها في عصبية ، واستطردت محنقة :

- إنه لن ينتصر هذه المرة .. حتى ولو نجح في

الفرار من أكبر سجون العالم ..

لقد حاصرته تماما ، ولم أترك له ثغرة واحدة ،

يمكنه النفاذ عبرها .

تردنت المساعدة لحظة ، قبل أن تقول :

- المشكلة أنه يتفاد دوماً من ثغرة لم ننتبه إليها .

لوحت (السنيورا) بيدها ، قائلة في حدة :

- في هذه المرة لن يجد أية ثغرات .

ومالت نحو مساعدتها ، ونفثت بخان سيجارتها في

وجهها ، وهي تستطرد في اتفهام :

- لقد استأجرت فريقاً كاملاً من القتل لمطاربته ،

ونجحت في دفع شرطة (نيويورك) كلها ، والمباحث

الفيدرالية الأمريكية للمعنى خلفه .

قالت المساعدة في اهتمام :

- ولكنه نجح في الفرار منهم جميعاً ، ومن الواضح ،

طبقاً لتقرير محطة (سي - إن - إن) ، أنه قضى أيضاً

على ثلاثة من القتلة المحترفين حتى الآن ، قبل أن

يختفي تماماً ، ويفقدون كل أثر له .

اتفق حاجبا (السنيورا) في شدة ، وهي تقول :

- لدى ما يجبره على الظهور .

سألته في لهفة :

- أنقصين عملية السفر ؟! .. إنه سيتابعها حتماً ،

و ...

قاطعتها (السنيورا) في حزم عصبى :

- كلا .. عملية السفر لا تعينى ، في كثير أو

قليل .. لقد كانت مجرد وسيلة ، لإبقاء (أدهم) في

(نيويورك) ، حتى يستعد (توماس) ورجاله لمواجهته .

ثم التقى حاجباها أكثر ، وامتزج الغضب في صوتها

بخليط من الصرامة والمقت ، قبل أن تتابع :

- أما السلاح الذي أملكه الآن ، فهو الشيء الوحيد ،

الذي سيجبر (أدهم صبرى) على الظهور ، مهما كان

التمن .

هتفت المساعدة :

- آه .. فهمت .. أنت تقصدين زميلته ، الواقعة في

غيبوبة عميقة !

أشارت إليها (السنيورا) بسبابتها ، وهتفت :



قنبي بصوت يعمل غضب ومفت لذي كدي ، فتضمت لبي

ماعدتي في دهشة

- بالضبط .

نطقتها في افعال ، وهي تنفث دخان سيجارتها ،
فسعلت مرتين ، واحتقن وجهها الجميل في شدة ، قبل
أن تتابع في حزم ، وهي تضم قبضتها في شدة :
- بهذا فقط أضمن أن يقع (أدهم) في قبضتي
مرغما ، ليدفع ثمن ما فعله بي .. وأعدك عندئذ أن
يكون الثمن غاليا .. غاليا جدا .

قالتها بصوت يحمل غضب ومقت الدنيا كلها ،
فتطلعت إليها مساعدها في دهشة ، ووجدت نفسها
تغمغم :

- هذا لو أنه مازال على قيد الحياة .

التفتت إليها (السنيورا) في حركة حادة ، وصرخ
حاجباها من الألم ، وهما ينعقدان في شدة وعنف ،
وقفز إلى رأسها سؤال محدود ..

لو أن (أدهم صبرى) لم يلق مصرعه في أعماق
المحيط ، فأين يمكن أن يكون ؟ ..

أين ؟ ..

أين ؟ ..

★ ★ ★

٨ - العودة ..

فجأة ، انتفض جسد (أدهم) انتفاضة محدودة ، ثم فتح عينيه . واستعاد عقله وعيه بفترة ، وإن لم يستعد جسده نشاطه المعتاد ..

ومع انتفاضه ، التقطت أذناه شهقة أنثوية ، أعقبها هتاف بصوت مألوف :

- أخيراً .. حمداً لله على سلامتك .

تطلع في دهشة إلى زميلته (جيهان) ، وهي تهرع إليه متهللة الأسارير والسعادة تقفز من كل لحظة من لحاتها ، وغمغم :

- (جيهان) ؟! .. أنت هنا ؟!

لا أحد يمكنه وصف فرحها وسعادتها بعودته إلى وعيه ، فقد خفق قلبها في عصف ، ووثبت إليه قدماها ، قبل أن يدرك عقله ما تفعله . ولولا أن استعادت توازنها النفس في اللحظة الأخيرة ، لألقت نفسها بين ذراعيه . وغمرت وجهه بالقبلات ، وهي تسكب دموع فرحها على صدره ..

وبكل الحب واللهفة في أعماقها ، وبكل الوله والهيام المعلن في عينيهما ، هتفت :

- حمداً لله على سلامتك .

قرأ كل هذه المشاعر في وجهها وصوتها ، وهو يسألها :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

أطلقت ضحكة مرحة ، لتفرغ انفعالها كله ، قبل أن تجيب ملوحة بسنابقتها :

- إتني أمنحك ليلاً على أنني أكثر من يمكنه فهمك ،

في العالم أجمع .. لقد سعيت للحصول على خريطة السجن المركزي ، وكنت قد أدركت أنك ستتخذ من فتحات التهوية وسيلة لبلوغ القبو ، ومنه ستجد سبيلك إلى الخارج ، عبر أتاييب الصرف ، وهذا فور معرفتي بمحاولة فرارك ، من محطة (سي . إن . إن)

الإخبارية ، وبلا تردد ، استأجرت زورقاً بخارياً ، وأسرعت به إلى تلك المنطقة من المحيط ، حيث تنتهي أتاييب الصرف ، وهناك شاهدت الزورق ينفجر ، ورأيت الانفجار يلقي بك في الماء ، فاطلقت نحوك ، وقفزت إلى الماء ، مضحية بواحد من أفضل أثوابي وأجملها ، وانتشلتك بعد أن فقدت وعيك ، وعدت بك إلى هنا بالقصى سرعة .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

٩٤٥

(م ٩٠ - رجل المسجل - اتحاد القطة (٩٠٧))

- هذا يعنى أنتى ملين لك بحياتى .

هتفت :

- لا بأس .. فأنت حياتى كلها .

لم تكذ تنطقها ، حتى تفجرت فى أعماقها بنابيع
الخل ، فتضرج وجهها بحمرته ، وتراجعت متممة :

- أعنى أنك أنقذت حياتى أكثر من مرة أيضا .

ابتسم لخلها لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد ذاكرته
كلها بفتة ، فاتفقد حاجباه فى شدة ، وهب جالسا ، وهو
يقول فى توتر :

- يا إلهى ! .. (منى) !

شحب وجه (جيهان) فى شدة ، وهى تقول :

- لقد حاولت منعهم من اختطافها .. أقسم لك .

كان يشعر بالآلام عنيفة فى ظهره ، مع الكدمات التى
سببها ارتطام أجزاء الزورق المتفجر به ، ولكنه كبت
مشاعره ، وهو يقول لها فى حزم :

- أنا واثق من أنك قد بذلت قصارى جهدك ، ولكن

الحقيقة الواقعة الآن هى أنهم نجحوا فى اختطاف
(منى) ، وأنها أصبحت فى قبضتهم

مأنته فى قلق :

- من فعل هذا فى اعتقادك ؟

صمت لحظات ، اتفقد خلالها حاجباه فى تفكير عميق ،
قبل أن يجيب :

- من الواضح أن كل مشكلاتنا تتبع من نقطة واحدة ،
تدور حولها كل الأحداث .

أجابت فى سرعة :

- الصنيورا .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قبل أن يتابع :

- إنها المسئول الأول عن اختطاف السفير ، وعن
الأشخاص الذين سعوا لقتلى ، والذين يقودهم أو
يتزعمهم رجل يدعى (توماس) ، وأيضا عن ذلك
الزنجى ، الذى حاول التخلص منى فى السجن

قالت (جيهان) فى اهتمام :

- هذا يعنى أننا لو أمسكنا بطرف خيط واحد ، فمن
الممكن أن يقودنا هذا إلى كل الخيوط
أشار بمسبأته ، قائلا :

- بالضبط .

أومأت برأسها متفهمة ، قبل أن تقول فى حماس :

- يمكننا أن نبدأ إذن من حادث اختطاف السفير
وزوجته .

تطلع إليها مجيبا :

- لقد تتبعنا ذلك الخيط بالفعل ، وقادنا إلى هنا ،
وأصبحنا نعلم أن المختطفين يختفون مع رهينتهم ، في
مكان ما من (نيويورك) ، ولكننا نجهل أين ؟
قالت في حزم :

- فلنبدا البحث على الفور إذن .

ثم اتجهت إلى الكمبيوتر ، مستطردة :

- في أثناء غيابك ، قام رجالنا هنا بعدد من
التحريات ، حول حادث اختطاف السفير ، وبوساطة
عمل مرتش في مركز الشرطة ، وأمكنهم الحصول
على نتائج التحقيقات الجنائية .

هز رأسه ، قائلا :

- نتائج التحقيقات الجنائية لن تفيد كثيرا .

سألته ، وهي تضرب أزرار الكمبيوتر :

- هذا صحيح ، ولكنها منحتنا وصفا تفصيليا لواحد
من المجرمين ، الذين شاركوا في عملية اختطاف
السفير وزوجته ، طبقا لأقوال الشهود ، ولقد حول
رسم الشرطة هذا الوصف إلى رسم واضح .

قالت جملتها الأخيرة ، وهي تضغط أحد أزرار
الكمبيوتر ، فارتسم على شاشته رسم لوجه قاس ،
غليظ الملامح ، يختفي معظمه خلف شارب ضخم ،
ويشرف ما تبقى منه عن قسَمات أسبائية واضحة ،
جعلت (أدهم) يقول :

- هذا الرجل مكسكى على الأرجح .

أومات برأسها إيجابيا ، وقالت :

- خبراء الشرطة أيضا قنروا هذا ، وحاولوا البحث
عن أية معلومات خاصة بالرجل ، من خلال مراجعة
أرقام الضمان الاجتماعي (*) ، أو سجلات الشرطة ،
ولكن بحثهم لم يسفر عن أية معلومات بعد ، ومن
الواضح أن الرجل أحد المهاجرين غير الشرعيين ،
ولمست له سوابق معروفة .

أجابها في حزم :

- بالنسبة للشرطة الجنائية .

رفعت عينها إليه ، تسأله في حيرة :

- ماذا تعنى ؟

أشار بيده ، مجيبا :

- أعنى أن الشرطة الجنائية هي آخر جهة تحصل
على المعلومات هنا ، وأنه هناك جهات أخرى ، لديها
سجلات خاصة ، لا تسمح للآخرين بالاطلاع عليها ، إلا
في ظروف خاصة للغاية .

(*) لكل مواطن أمريكي رقم خاص ، يمكن من خلاله معرفة كل
بياناته الشخصية ، تماما مثل مشروع الرقم القومي للمواطن المصري ،
الذي يتم إعداده في الوقت الحالي

أطلقت حيرة أكثر من عينيها ، وهمت بإلقاء سؤل
آخر إلا أنه تابع في حزم :

— أرسلني برقية شفرية للقيادة في (القاهرة) ،
وأبلغهم أنني عدت لمواصلة المهمة الرئيسية ، واطنبي
من رجالنا هنا إجراء أكبر قدر من التحريات المكثفة ،
حول مجرم محترف .. قاتل على الأرجح ، يحمل اسم
(توماس) ، ويحاولون البحث عما يربطه بالرجال
الثلاثة ، الذين حاولوا قتلني ، عند هروبي من السجن
المركزي .

سألته في اهتمام :

— وماذا أيضا ؟

أشار لها بيده ، مستطردا ، وهو يلتقط حقيبة أدوات
التنكر باليد الأخرى .

— وأعيرني مفاتيح سيارتك الرياضية الجديدة ،
فسأحتاج إليها في عمل محدود .

اتفقت حاجبها الجميلان ، وهي تقول :

— أتعني أنك ستذهب وحدك ؟

ابتسم ، وهو يجيب :

— بالتأكيد يا زميلتي العزيزة ، ولا تجعلني هذا يحزنك
أو يدهشك ، فسيكون لديك الكثير لتفعلينه ، حتى أنتهي

من هذا العمل ، ثم إنني أود أن أدخر الحنق والدهشة
لشخص آخر .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

— شخص سيمفحنا كل الأجوبة المطلوبة .

تضاعفت حيرتها ، وهي تتطلع إلى ابتسامته ، التي
حملت شيئا من الجذل ، مع الكثير من الغموض ..
الكثير جدا ..

* * *

بدا الغضب على وجه المفتش (هاتكن) ، وهو
يقول لأحد رجاله في عصبية :

— هل رأيت فضيحة أكبر من هذه ؟!.. تلقى القبض
على شخص غامض وسط أحداث بالغة العنف ، نقلتها
المحطات التلفزيونية إلى كل بيت في (أمريكا) ،
وربما في العالم كله ، ونضعه في السجن ؛ لنضمن
تواجده حتى تنتهي من استجوابه ، ويتم تقديمه
للمحاكمة ، فيتصرف مسئولو الأمن هناك بإهمال
واستهتار ، يسمحان له بالفرار من السجن ، ثم يختفي
تماما ، دون أن نعلم له على أدنى أثر !!

أجابته الرجل ، محاولا تهدئته :

— لقد وزعنا نشرة بأوصافه يا سيدي المفتش ، و ...

قاطعة (هاتكس) في حلق :

- وما الذي يمكن أن تفعله نشوة لوصاف عافية ،
مع رجل غير عادي ؟ .. ألم تترك بعد طبيعة خصمنا
بارجل ؟ ألم تتعلم شيئا من كل ما فعله ، ومن فراره
المدهش من سجن ، لم ينجح مخلوق واحد في الفرار
منه ، طوال العشرين عاما الماضية ؟

قلب الرجل كفيه في حيرة ، وقال :

- ما الذي يمكننا فعله إذن ؟

هز (هاتكس) رأسه في حلق ، وضرب سطح
المائدة بقبضته ، قائلا :

- أتمنى لو أنني أمتلك الجواب .

كانت نفسه تموج بالسخط والغضب ، حتى كاد يقطع
شفته السفلى بأسنانه ، قبل أن يشير إلى الرجل ،
مستطردا :

- لو أننا لم نستطع استعانتة ، فلا أقل من أن نلقن
المسئول عن فراره درسا قاسيا . هيا .. راجع ملف
ذلك المدعو (بيرت) ، منذ كان طفلا في الخامسة من
عمره .. أريد تسريح التحاقه بالمدرسة الثانوية ..
تاريخ إصابته بأول التهاب في اللوزتين .. بأول إصابة

في ملعب البيسبول (*) .. أريد معرفة كل تفاصيل حياته
بلا استثناء ؛ فوعد كهذا سيحمل في تاريخه خطأ ما
حتمًا ، ومن هذا الخطأ سنسعى لتصفه ، ولتخطيم
مستقبله تماما .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى تتضح أحد رجاله من
خلفه ، وقال :

- معذرة يا سيادة المفتش ، ولكن أحد رجال المخابرات
المركزية يطلب مقابلتك على وجه السرعة
لتعقد حاجبا (هاتكس) ، وهو يقول :
- المخابرات ؟

واستغرق في تفكير متوتر بضع لحظات ، قبل أن
ينهض من مقعده ، ويستطرد :

- فليكن .. سأستقبله في مكتبي على الفور .
اتجه إلى مكتبه ، وعدل رباط عنقه ، وهو يجلس
خلفه ، وتعلق بصره بالرجل الوقور ، الأشيب الفودين ،
الذي دلف إلى حجرته ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن
يقول :

(*) البيسبول رياضة نشأت في (أمريكا) ، وانتقلت منها إلى
(اليابان) و (أوروبا) ، و (أمريكا اللاتينية) ، تحتاج إلى صعب معبر
الشكل ، طول ضلعه ٣٠ مترا ، ويلعبها فريقان ، يتكون كل منهما من
تسعة لاعبين ، وفيها يصرب لاعب الكرة بمصرب مستدير ، ويتم الجري
حول أربعين الملعب ، في حين يسمى الفريق المنافس لانتقاط الكرة ،
وعندا

- المفتش (دين هاتكس) أليس كذلك ؟

أجابه (هاتكس) فى اهتمام :

- بلى .. أخبرونى أنك رجل مخبرات

أبرز الرجل بطاقة خاصة ، من بطاقات جهاز
المخابرات الأمريكى ، تحمل صورة واضحة له ، وهو
يقول :

- (تيم بارتون) .. من العمليات الخاصة .

انق (هاتكس) نظرة متأنية على البطاقة ، وقارن
الصورة فيها بوجه الرجل ، قبل أن يتراجع بمقعده ،
ويقول فى اهتمام واضح :

- ترى ما الذى يمكن أن تحتاج إليه المخابرات
المركزية من المباحث الفيدرالية يا سيد (بارتون) ؟
جذب (بارتون) مقعدا ، ليجلس أمام مكتبه مباشرة .
وهو يجيب فى انضباط هازم :

- معلومات .

ارتفع حاجبا (هاتكس) فى دهشة ، وهو يقول :

- معلومات ؟! .. أنتم تريدون المعلومات منا ؟! ..

المفترض أن يحدث العكس ياسيد (بارتون) .

هز (بارتون) رأسه نفيا فى بظء ، وأجاب :

- ليس فى هذه الحالة أيها المفتش .

ثم مال نحوه ، مستطرذا فى هزم :

- لقد شاهدت ذلك الرسم ، الذى وضعه رستم
الشرطة ، لذلك المجرم المكسيكى ، الذى شارك فى
عملية اختطاف السفير المصرى ، ولم نجد لدينا أية
معلومات بشأنه .

اتعقد حاجبا (هاتكس) ، وقال فى حذر :

- ولماذا تصورت أنك ستجد مثل هذه المعلومات
لدينا ؟

ابتسم (بارتون) فى سخرية ، ومال نحوه ، قائلا :
- لأننا نعلم أن لديكم ملفات خاصة ، لمثل هؤلاء
الأوغاد ، وأنكم تعرفون الكثير عنهم ، حتى وإن
تظاهرتُم بالعكس .

ازداد اعتقاد حاجبى (هاتكس) ، وهو يتطلع إلى
الرجل ، قبل أن يقفم :

- ولماذا تصعرون للحصول على معلومات خاصة
بـ (خوزيه) هذا ؟

ارتفع حاجبا (بارتون) ، وهو يقول :

- أه .. اسمه (خوزيه) . هذه بداية طيبة .

بدا الحنق على وجه (هاتكس) ، لأنه لفظ اسم
الرجل دون أن يدرى ، فى حين تابع (بارتون) بلهجة
صارمة :

- سيكون من الألف من أن تخبرني بقلبه ، وبالسبب الذي جعلكم تتجاهلون عملية البحث عنه ، على الرغم من أنكم تمتلكون بعض المعلومات الخاصة به .

قال (هاتكس) في حدة :

- من قال إننا نتجاهل عملية البحث عنه ؟ . لقد أسندنا هذه المهمة لثلاثة من أفضل رجالنا ، ولكن أمثال (خوزيه ماسياس) هؤلاء لا يمكن العثور عليهم بسهولة .. إنهم يختفون في أعماق المجتمع ، كما لو كانوا ديدانا مجهرية ، لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، ولهم - في المعتاد - عشرات الأعوان والمساعدين ، الذين لأهم لهم سوى التستر عليهم ، وتغطية هروبهم واختفائهم ، في عالمهم السفلى البغيض ، الذي لا يمكنك التوغل فيه سوى داخل دبابنة مصفحة ، وسط جيش من المقاتلين الأشداء ، في دروع من الفولاذ .

ابنسم (بارتون) في سخرية ، قائلا :

- ليس إلى هذا الحد .

لوح (هاتكس) بيده في حدة وهو يقول :

- بل الأمر في حقيقته يفوق هذا الحد بكثير .. انظر حولك ، وستجد أنني على حق تماما فيما أقول .. انظر إلى شوارع (نيويورك) ، التي لا تخلو من الجريمة ،

في أي وقت من النهار .. حوادث قتل ، وسرقة ، واختطاف ، واغتصاب ، وسطو بالإكراه .. ولاحظ أنني أتحدث عن الشوارع الرئيسية الكبيرة ، فما أدراك بما يحدث بعد غروب الشمس ، في الشوارع الضيقة ، والأزقة ، والحدائق العامة ، ومحطات مترو الأنفاق !! هل تعلم من يدير هذا العالم المخيف العنيف !! .. إنهم أولئك الأوغاد ، من طراز (خوزيه ماسياس) .. وحتى هذا الأخير ليس سوى مسمار بسيط ، في صرح هائل مخيف ، يتزعمه شياطين في هيئة آدمية ، لا يتردد الواحد منهم في وضعك داخل إناء مملوء بالزيت المغلي ، وتقليبك فيه في بطن وعناية ، وهو يتلذذ بكل صرخة ألم تنطلق من أعماقك ، حتى تلقى مصراعك ، وأنت تعاني عذابا رهيبا ، لا تطرف له في جسده شعرة واحدة ، ثم يلقي جثتك للكلاب بلا رحمة أو مبالاة .

حافظ (بارتون) على ابتسامته الساخرة ، وهو

يقول :

- رابع .. لقد نجحت في إثارة ذعري ومخاوفى أيتها

المفتش ، والآن دعنا نعد إلى الموضوع الرئيسي ..

إلى أي عالم ينتمي (خوزيه ماسياس) هذا ؟ أعنى

أي جزء يتحكم فيه من المدينة ؟

مط (هاتكس) شفتيه ، قائلا :

- إنه لا يتحكم فى أى جزء من (نيويورك) ، ولكنه
أحد الذين يمثلون الكبار ، فى منطقة (بروكلين) ،
والذين ..

بتر عبارته بفتة ، واتعقد حاجباه فى شدة ، وهو
يحدق فى أذن (بارتون) قبل أن يهتف بصوت مبجوح ،
من فرط الانفعال :

- رباه ! .. مستحيل ! .. إنه أنت !! .. أنت ذلك
الـ ...

قالها ، ويده تسرع نحو مسدسه ، المعلق تحت إبطه ،
ولكن (بارتون) تحرك فى سرعة مذهشة ، وانقض
عليه كالبرق ، وقبض على معصمه ، ولواه فى قوة ،
وهو يستعيد صوته الأصلي ، قائلا فى سخرية :

- رافع أيها المفتش .. مازلت تأثير إعجابى بحق .
إنك لست شريفا ومخلصا فحسب ، ولكنك أيضا واحد
من القلائل ، الذين يدركون أهمية الأسلوب الفرنسى
القديم ، فى تعرف الآخرين من بصمة أذانهم .

هتف (هاتكس) فى ذهول ، و (أدهم) ينتزع
مسدسه من يده ، ويلصق فوهته بعنقه :

- ولكن كيف .. كيف فعلت هذا ؟ .. الملامح ،
والصوت ، وهوية رجال المخابرات !! .. هذا مستحيل !

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- يمكنك أن تقول إننى أمتلك وسائل عديدة ، للتعامل
مع الآخرين .

هتف (هاتكس) :

- من المستحيل أن تكون شخصا عاديا .. أقسم إنك
رجل مخابرات مصرى .

اتعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

- دعك من هذه السخافات أيها المفتش ، واستمع
إلى هذا ،

قال (هاتكس) فى حدة ، وهو يجاهد للتخلص من قبضته :

- كيف جرؤت على هذا ؟ .. كيف أتيت بقميمك إلى هنا ؟ ..

أجابه (أدهم) :

- أمر تعلمته من والدى (رحمه الله) ، منذ زمن
طويل .. فأفضل مكان تختبئ فيه من خصمك هو عرينه
نفسه ؛ فهو آخر مكان يخطر بباله ، وآخر منطقة
يبحث فيها عنك .

هتف به (هاتكس) :

- ولكن دخول مقرنا ليس كالخروج منه .. يكفى أن
أطلق صيحة استجد واحدة له ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة عنيفة :

- قلت لك : كف عن مخافاتك هذه ، واستمع إليّ جيداً .. إنك تضيع الكثير ، في سبيل إثبات تفوقك على .. ألم تذكر بعد أنني أقدم لك قضية أكثر قوة وأهمية ؟! التقى حاجبا (هاتكس) ، وهو يتطلع إليه في شك ، فدفعه (أدهم) : ليصيده إلى مقعده ، مستطرذا في حزم : - من الواضح أنك لم تتابع أمر الجنرال (رالف أوبن) ، والطيار (مايكل فريمان) ، قلو أنك التفتت طرف الخيط وسعيت خلفه ، لوضعت يدك على أضخم قضايا القرن العشرين ، منذ قضية (واترجيت) (*) . تطلع إليه (هاتكس) في شك حذر ، فتراجع (أدهم) في هدوء ، وجلس على مقعد مقابل له ، مضيفاً : - والان .. ألم تفتتبع بعد بضرورة أن نتعاون معاً ، بدلاً من أن نتقاتل ، ونمنح خصمنا فرصة الفرار ، وتوفيق أوضاعه للتصدي لنا ؟

(*) واترجيت : صحيفة أمريكية شهيرة ، تأسست في استنفال فرانس الأمريكي السابق (ريتشارد ميلهوس بيكسون) ، بعد أن ثبت تورطه في عمليات تصنت وتجسس ، على مقر الحزب الديمقراطي ، عام ١٩٧٢ م ، قام بها مساعده ، بناء على أوامر شخصية منه ، وترجع أهمية الصحيفة إلى كونها المرة الأولى ، في التاريخ الأمريكي ، التي أجبر فيها رئيس جمهورية على الاستقالة .

قال (هاتكس) في حدة :

- القانون يمنعني من التعاون معك . رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول ساخراً : - حقاً ؟! .. وماذا عن المنطق والعقل ؟ هذا التردد على وجه (هاتكس) ، واستعد لقول شيء ما ، عندما دخل أحد رجاله المكتب فجأة ، قائلاً : - سيدي المفتش .. لقد تلقينا الآن مكالمة هاتفية عاجلة ، من الـ ... قاطعه (هاتكس) بفتة ، وهو يقفز من خلف مكتبه ، مشيراً إلى (أدهم) : - (كارل) .. أوقف هذا الرجل .. إنه (أدهم صبري) ، الذي تبحث عنه . تراجع (كارل) في حركة سريعة ، واتسعت عيناه في دهشة تكاد تبلغ حد الذهول ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يستقل مسدسه ، و ..

وبوت الرصاصات في مقر المباحث الفيدرالية .. ولم يعد (أدهم) يسيطر على الموقف .. لم يعد كذلك أبداً ..

* * *

٩ - العالم السفلى ..

احتقن وجه (توماس كلارك) فى شدة ، واختلط الغضب بالسخط والحنق فى ملامحه ، وهو يقول للسنیورا فى حدة ، عبر أسلاك الهاتف :

- أعلم أننا قرأنا ملف الرجل جيداً ياسنیورا ، ولكن من الواضح أنه ما من وصف ، مهما بلغت دقته ، يمكن أن ينقل إليك صورة حقيقية له .. لقد كانت المواجهة الأولى حتمية ، على الرغم من أننا خسرنا فيها ثلاثة من أفضل رجالنا .

صاحت به السنیورا فى حدة :

- خطأ يا (توماس) .. خطأ .. لقد حذرتكم من هذا منذ البداية ، ولكن أحدكم لم يأخذ الأمر مأخذ الجد .. غروركم صور لكم أنكم أبرع المحترفين فى الكون ، وأنه يكفي ثلاثة منكم ، للقضاء عليه قضاء مبرماً .. أنتم تمتحنون هذا الدرس .

هتف (توماس) ، ووجهه يزداد احتقاناً :

- ولكن خطتنا كانت محكمة بالفعل ياسنیورا .. (بيرت) منع رجاله من الخروج للبحث عن الرجل ، عند

الشاطن الصخرى ، ونحن خرجنا إليه بفريق يتكون من خمسة من رجالنا .. (ألفريد) و (جيسون) انتظراه عند الشاطن ، فى حين استقل (تونى) و (تشارلز) و (آرثر) زورقاً بخاريهما ، لملاقاته عند نقطة الخروج ، ولا تنسى أن كل واحد من هؤلاء الخمسة قاتل محترف ، ولا يشق له غبار .

صاحت به غاضبة :

- بل لا تنسى أنت أن (أدهم صبرى) هذا حطم أنف عماتة (المافيا) أكثر من مرة (*) ، قبل أن يكتسب احترامهم وصدقتهم (**) وأنه المسلول عن سحق منظمة (سكوربيون) بأكملها (***) ، فهل تعتقد أن خمسة من المحترفين يكفون ، للقضاء عن رجل مثله ! تضاعف احتقان وجه (توماس) ، حتى كادت عيناه تبرزان من محجريهما ، وهو يقول فى صوت مختق : - فليكن يا سنیورا .. ربما أخطأنا بالفعل فى مواجهتنا الأولى معه ، ولكننى أعذك أن المواجهة القادمة ستكون مختلفة .

(*) راجع قصة (شيطان المافيا) المعاصرة رقم (١٨)

(**) راجع قصة (دونا كارولينا) المعاصرة رقم (٦٠)

(***) راجع قصة (جزيرة الجحيم) المعاصرة رقم (٨١)

وانعقد حاجباه في قوة ، وهو بضيف :
- وحاسمة ..

ران الصمت لعدة ثوان ، عبر أسلاك الهاتف ،
وكأنما استفرقت السنيورا في تفكير عميق ، في محاولة
لدراسة عبارة (توماس) ، قبل أن تسأل في حزم :
- وأين يمكن أن نتم المواجهة الثانية في رأيك ؟
باغته السؤال ، فأرتج عليه بضع لحظات ، قبل أن
يقول في قوته :

- الأحداث ستقودنا إلى موضع المواجهة حتما .
هتفت به في صرامة :
- خطأ .

تراجع بحركة حادة ، وكأنما اخترق هاتفها أذنه ، ثم
عاد يقرب الساعة منها ، وهو يقول في عصبية :
- ماذا تعنين يا سنيورا ؟

أجابته في انفعال واضح :

- من الخطأ أن تسمح لخصمك باختيار وقت ومكان
المواجهة بينك وبينه ..
البراعة في أن تدفعه أنت دفعا إلى حيث تريد ،
ووقتما تريد .

سألها في هيرة :

- وكيف يمكن هذا ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تقول :

- ادع لي هذه المهمة .

قالتها بصوت يحمل كل الثقة ..

وكل الحزم ..

* * *

لم يكد (هاتكس) يهتف بزميله ، ويطالبه بإلقاء
القبض على (أدهم) ، الذي ينتحل شخصية رجل
المخابرات الأمريكي (تيم بارتون) ، بل وقبل حتى أن
ينتهي الهاتف ، كان (أدهم) قد بدأ تحركه ..

وفي نفس اللحظة ، التي انتزع فيها رجل المباحث
الفيدرالية مسدسه ، كان (أدهم) قد بلغ موضعه بوثة
مدهشة ، وقبض على معصمه ، قائلا في سخرية :
- أهنتك على سرعة تلبيةك لأوامر رؤسائك .

ثم لوى المعصم في قوة ، وهو يجذب الرجل إلى
داخل الحجرة ، ويلتقط مقبض الباب باليد الأخرى ،
ليفتقه في عنف ، مستطردا ، ورصاصة الرجل تنطلق
نحو السقف :

- وتقبل أسفى على نتائج هذا .

قالها ، وهو يدير يد الرجل خلف ظهره ، ويجبره

على التخلي عن مسدسه ، قبل أن يدفعه إلى الأمام في عنف ، ليرتطم بالمفتش (هاتكس) ، الذي دار حول مكتبه في سرعة ، في محاولة للاشتباك مع (أدهم) ، فسقط رجلا المباحث الفيدرالية أرضا ، في نفس اللحظة التي حدثت فيها جلبة واضحة في الخارج ، وارتفع صوت أحد رجال المباحث يهتف :

- (هاتكس) . ماذا يحدث في مكتبك ؟

أزاح (هاتكس) زميله عنه . وهو يقول في توتر .
أرايت يا سيد (أدهم) ؟ لقد خسرت .. هؤلاء الرجال في الخارج لن يسمحوا لك بمغادرة المكان أبدا . حتى ولو أطلقت النار على نصفهم ، وأرديتهم قتل .
كان زميله يحاول النهوض في سرعة ، ولكن (أدهم) دار حول نفسه في مرونة ، وركله في أنفه ، فأسقطه فاقد الوعي ، وهو يقول للمفتش (هاتكس) :

- من الواضح أنك لم تفهمنى بعد أيها المفتش .
ثم جذبه من سترته ، ليجبره على الوقوف ، مستطردا في صراخه :

- أنا لا أبغض أكثر من القتل وإراقه الدماء .

قلها ، وهوى على فك (هاتكس) بكمة عنيفة . سقط المفتش على إثرها فاقد الوعي ، في نفس اللحظة

التي ارتفع فيها صوت يهتف في صراخه :

- (هاتكس) .. أخبرنا ماذا يحدث عندك ، وإلا اتحمتنا بالحجرة على الفور .

ألقي (أدهم) نظرة على (هاتكس) وزميله ، ومط شفتيه مضغضا :

- كنت على حق يا (هاتكس) . لن يسمحوا لي بمغادرة المكان أبدا .

ثم انتزع قناع (تيم بارتون) عن وجهه ، مستطردا :
- ولكنهم سيسمحون لك بذلك بالتأكيد .

نطقها مبتسما في سخرية ، وهو يلقي قناع (بارتون) جاتبا ، وقد بدا أسفله قناع آخر شديد الإتقان ، يحمل وجه رجل المباحث الفيدرالية نفسه .

وجه المفتش (دين هاتكس) ..
وفي نفس اللحظة ، التي ألقي فيها (أدهم) القناع ،

كان يهتف بصوت يحاكي صوت (هاتكس) تماما .
- لا داعي يا رفاق .. إننى أسيطر على الموقف تماما .

واتجه إلى الباب ، وفتحه في جراءة ، فالتجهت إليه الأنظار كلها في تساؤل قلق ، جعله يشير إلى الداخل إشارة مبهمه ، قبل أن يغلق الباب خلفه ، قائلا :

- الرجل الذي ادعى كونه رجل مخبرات كان زائفا .
ولقد هاجم (كلرل) ، ولكنني هاجمته على الفور ،
واشتبهت معه ، وألقيته الوعي ..
هتف أحد الرجال في دهشة ، وهو يتطلع إلى وجهه
في شك :

- كان زائفا .

أشاح (آدم) بوجهه ، وهو يقول في اتصال
مصطنع .

- نعم .. فليقف أحدكم بالباب ، وليمنع أي شخص
من الدخول أو الخروج ، حتى يصل المدير .. الأمر
خطير للغاية ، ومن الضروري أن يبت فيه نفسه .

قالها ، وهو يندفع مغابرا .. القاعة كلها ، واستقل
المصعد في هدوء ، فنقل الرجال بصرهم بينه وبين
الباب المغلق في حيرة ، قبل أن يقفم أحدهم :

- رجل مخبرات زائف ؟! .. عجباً ! .. هذا الأمر لم
يحدث من قبل ..

اندفع ثان يقول في قلق :

- قل لي : ألم يبد لك (هاتكس) مختلفا ، عندما
غادر الحجرة ؟!

أجاب ثالث في سرعة :



نظمه متسما في محبرة ، وهو يلقي فاع (داتون) حثا .

وقد بدأ عمله لخاص آخر شديد الإثارة ..

- بالتأكيد . لقد بدا لي أطول قامة ، وأشد قوة .

هاتف رابع :

- وحتى الحلة التي يرتديها كانت مختلفة
تبادلوا جميعا نظرة قلقة مذعورة ، قبل أن ينقض
أحدهم على الحجرة ، هاتفًا :

- رهاه !.. هذا يبدو مستحيلًا ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، كان قد اقتحم الحجرة بالفعل ،
ووقع بصره على (هاتكس) و (كارل) الفاقدين
للمركب ، فترجع كالمصعوق ، هاتفًا :
- مستحيل !..

اتسعت عيون الرجال في ذهول ، وصاح أحدهم :

- من ذلك الذي انصرف إذن ؟!

كاد الذهول يلتهمهم بضع لحظات ، حتى انتزع أحدهم
نفسه منه ، وصرخ ، وهو يعدو نحو المصعد :

- امنعوا ذلك الشيطان من الانصراف .. امنعوه من
الفرار .

وثب آخر إلى جهاز الإنذار الداخلي ، قصفه بيده
كلها ، وهو يصيح عبر مكبرات الصوت ، المنتشرة في
المبنى كله :

- هناك شخص ينتحل شخصية المفتش (هاتكس) ..

امنعوه من مغادرة المبنى بأي ثمن .. هل تفهمون ؟ ..
بأي ثمن .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت رئيس
فريق الأمن بالمبنى ، وهو يقول في توتر ملحوظ :
- ولكن المفتش (هاتكس) غادر المبنى بالفعل ،
منذ دقيقة واحدة .

امتقع وجه رجل المباحث الفيدرالي ، وصاح برفاقه :
- الرجل غادر المبنى .. دعونا نطلق لمطاردة
لا ينبغي أن تسمح له بالفرار أبدا

اتطلق أربعة منهم لمطاردة (أدهم) ، ولكنهم ما إن
بلغوا مدخل المبنى ، حتى أدركوا أن خصمهم لم يعد
هناك ..

لقد اختفى تماما وذاب وسط زحام (نيويورك) .
اختفى تماما ..

* * *

لهث مفتش الشرطة المكسيكي (بابلو) ، وهو
يتسلق تلك المرتفعات الصخرية ، في صحراء
(المكسيك) ، بصحبة المصور (جان زوكرمان) ، وحمل
صوته شيئا من تعب وعصبية ، وهو يقول لهذا الأخير :
- الشمس أوشكت على الغروب ، ولم نعثر على آلة

التصوير الخاصة بزوجتك بعد يا سنيور (زوكرمان) ،
وهذا ثالث مرتفع نتسلقه .

وثب (زوكرمان) يعتلى قمة المرتفع ، وهو يقول
في هزم :

- أنا واثق من أننا سنعثر عليها في مكان ما هنا .

لوح (بابلو) بذراعيه في حدة ، هاتفا :

- ومن أين ثقتك هذه ؟

أشار (زوكرمان) حوله ، قائلا :

- من ثقتي بأن (أنجيل) خرجت خصيصا لتصوير

هذه التلال ، وليس للتجوال حول النهر ، ولو أنها

فقدت آلة التصوير الخاصة بها ، فقد فقدتها هنا حتما .

جلس (بابلو) على صخرة كبيرة ، وأخرج منديله

ليجفف عرقه الغزير وهو يقول في حلق :

- أشعر بالحماسة ، لكنني صدقتك ، وتبعثك إلى هنا ،

وأكاد أقسم أننا لن نعثر على أي شيء ، خاصة وأن

حقيبة زوجتك تحوى آلة تصوير بالفعل

أجابه (زوكرمان) وهو يتلفت حوله في اهتمام :

- لقد شرحت لك هذا الأمر من قبل ، وأخبرتكم أن أي

مصور محترف يحمل في المعتاد آلتى تصوير على

الأكل ، و ..

بتر عبارته بغثة ، وهو يحدق في نقطة ما ، قبل أن
ينفlec نحوها بحركة حادة ، جعلت (بابلو) يهيب من
مقعدة ، هاتفا :

- ماذا وجدت ؟

انحنى (زوكرمان) يلتقط جسما مستديرا من بين

الصخور ، وهو يقول في انفعال واضح :

- إنه غطاء عديمة ، من نفس الطراز الذى

تستخدمه زوجتى ، وهذا يضى أنها كانت هنا بالفعل .

التقط (بابلو) الغطاء ، وتطلع إليه فى حيرة ، قبل

أن يقضم :

- يبدو يا سنيور (زوكرمان) أننا ..

قبل أن يتم عبارته ، انفع (زوكرمان) نحو حافة

المرتفع ، وهو يقول في انفعال :

- رهاه ! .. ها هي ذى .

حدق فيه (بابلو) فى دهشة ، وهو ينحنى ليلتقط

آلة تصوير كبيرة ، وهتف :

- أهذه آلة التصوير الخاصة بزوجتك ؟

أجابه (زوكرمان) بسرعة :

- نعم .. إنها هي ، وبداخلها الفيلم ، الذى التقطت

منه عدة صور بالفعل .

والتفت إلى (بابلو) ، مستظرياً في حماس :

— لاحظ أنه الفيلم الوحيد ، الذي بقى من كل ما كانت تحمله ، وأراهنك على أن الصور التي التقطتها منه ، ستحمل لنا تفسيراً لما دفع البعض إلى التخلص منها .

قالها ، دون أن يدري أن الصور التي التقطتها زوجته (أنجيل لوبان) لن تحمل التفسير فحسب ..
إنها ستحمل الكثير ، لأناس لم يلتق بهم في حياته قط ..

الكثير جداً ..

* * *

غادرت (جيهان) .. مترو الأنفاق في (نيويورك) .
وهي تحمل حقيبتها الأنيقة ، وتابعها عيون ركاب المترو في دهشة ، مع تساؤلهم الحائرة عن السبب ، الذي يدفع فتاة جميلة أنيقة مثلها ، إلى القدوم إلى منطقة موبوءة بالجريمة كهذه ، وتنهت بعض السيدات في حسرة مشفقة ، وهن يتخيلن ما يمكن أن يصيبها ، في حي انتشرت فيه الجريمة ، حتى بات رجال الشرطة أنفسهم يخشون الاقتراب منه ، ولكن سرعان ما ذهب إحساسهن بالشفقة ، مع ذلك التوتر الذي ملأ نفوس

الجميع ، خشية أن يثب أحد المجرمين إلى المترو ، ويشهر مسدسه في وجوههم ؛ ليطالبهم بكل ما يحملونه من نقود قليلة ، كما حدث مرة أو مرتين من قبل ، ثم لم يلبث الجميع أن تنفسوا الصعداء ، عندما أغلقت أبواب المترو ، وواصل طريقه ، مبتعداً عن حي الجريمة ، ونسى الركاب أمر (جيهان) ، أو تناسوه ، وهم بهزون أكثافهم ، قائلين لأنفسهم : إنها تستحق كل ما يمكن أن يصيبها ، ما دامت قد أتت بتقديمها إلى المكان ..

أما (جيهان) نفسها ، فعلى الرغم من معرفتها بعدى وحشية وخطورة تلك المكان ، الذي غادرت فيه مترو الأنفاق ، إلا أنها ظلت هادئة بسيطة ، وهي تعذل تصفيفة شعرها ، أمام مرآة نصف محطمة ، دون أن تلقى بالاً لما حولها ، كما لو أنها داخل منزلها ، الذي تحميه عشرة أجهزة إنذار حديثة .

وعلى بعد خمسة أمتار منها فحسب ، مال رجل غليظ الملامح على أذن زميله ، وهمس في سخرية :
— انظر لتلك الفاتنة .. من تتصور نفسها ، حتى تقف لتتجمل هنا ، وكأنها لا تبالي بسطوتنا وسمعتنا .
ارتسمت على شفתי زميله ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

- أو أنها تبالى بها ، وتصعى إليها .

فهذه الأول ضاحكاً ، وهو يهتف :

- أيها العريد ...

شاربه زميله ضحكة مجلجلة ، ترثد صداها عبر
ممر الممر ، إلا أن (جيهان) لم تلتفت إليهما قط ،
وكأنها لا تشعر حتى بوجودهما ، مما استفزهما أكثر ،
فلكز الأول زميله بمرفقه ، قائلاً :

- تلك الحقيبة تعتمد تجاهلنا .. يبدو أنها تحتاج إلى
من يلتفتها درساً قاسياً .

ابتسم الثاني ابتسامة خسنة قاسية ، وهو يقول :

- إني أتوق إلى هذا .. هيا بنا .. سنجعلها تنم
على هبوطها في هذه المحطة ..

اتجهتا نحوها مباشرة ، وجذبها الأول من كتفها ،
قائلاً في غلظة :

- حقيقتك تروق لي كثيراً يا فتاتي .

التفتت إليهما (جيهان) في هدوء ، ومنحتهما نظرة
باردة ، وهي تقول :

- حقاً ؟! يمكنني أن أمنحك اسم المتجر ، الذي ابتعتها
منه إذن .

تبادل الرجلان نظرة ساخرة ، قبل أن يجذب الثاني
الحقيبة ، قائلاً :

- احتفظي بالاسم أيتها المتحيلة ، فنحن لا نحسب أن
ندفع نقوداً ، مقابل ما نحصل عليه .

أدهشهما أن ارتسمت على شفتي (جيهان) ابتسامة
جذلة ، وهي تتشبث بالحقيبة ، قائلة :

- آه .. فهمت وجهة نظركما ..

ثم ركلت ساق الأول بفتة ، مستطردة :

- وإليكما وجهة نظري .

أطلق الرجل صرخة ألم ، وانحنى ليمسك ساقه ،
ولكنها وثبتت تركله في أنفه ، ونجسده على الاعتدال ،
ثم هوت على فكه بلكمة كالقنبلة ، ألقته مترين إلى
الخلف ، قبل أن يسقط فاقد الوعي ، فاستل زميله
خنجره في سرعة ، هتافاً :

- أيتها اللعينة .. لقد ..

وثبت تركل الخنجر من يده ، قائلة :

- أخطأت عندما وصفتي باللعينة .

ثم دارت حول نفسها ، وركلته في أنفه ، مستطردة :

- فهذا الأسلوب لا يصلح لمخاطبة أنسة رقيقة مثلي .

تراجع الرجل ، وهو يطلق صرخة ألم غاضبة ،

فضربت به حقيقتها في وجهه ، مضيفة :

- ثم إنه يفضيلى بحق .

سقط الرجل على ظهره ، ولكنه قفز واقفاً على قدميه
فى سرعة لا تتناسب مع ضخامته ، وهو يصرخ :
- ستدفعين الثمن أيتها الحفيرة .

قالها ، وهو ينتزع من جيبه مسدساً كبيراً و .
« ألم تسمع ما قالته الأنسة ؟ » .

اخترقت العبارة أذنيه بصوت صارم مخيف ، فى
نفس اللحظة التى قبضت فيها أصابع قولاذية على
معصمه ، ولوته بحركة سريعة ، جعلته يطلق صرخة
ألم ، وبفلت المسدس على الرغم منه ، وقبل أن يدرك
من فعل به هذا ، هوت لكمة كالصاعقة على فكه ، مع
نفس الصوت الصارم ، وهو يضيف :

- هذا الأسلوب لا يصلح لمخاطبة مثلها .

ابتسمت (جيهان) فى ارتياح ، عندما سقط الرجل
فلقد الوعى ، تحت قدمى (أدهم) ، وهتفت فى حرارة :
- فى الوقت المناسب تماماً كعادتك .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- أتعتشم أن أحافظ على هذه السعة دائماً .

تأبطت ذراعه بحركة عفوية ، وهى تقول :

- أنا واثقة من أنك ستفعل ، ولكننى أتمنى أن يكون

موعدنا التالى فى مكان أكثر رومانسية .

أزاح يدها فى رفق ، وهو يقول فى جدية :

- المكان يناسب خطوتنا التالية تماماً

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، على الرغم من
أسلوبه المهدب ، وقالت فى شيء من العصبية :
- من يحتفظون بالسفير وزوجته هنا ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- ربما ، ولكن أحد الذين شاركوا فى عملية
اختطافهما يعيش فى هذه المنطقة ، وأعتقد أننا لو
توصلنا إليه ، فربما قادنا هذا إلى السفير وزوجته ، أو
إلى (منى) .

تهذج صوته ، وهو ينطق الاسم الأخير ، فخفق معه
قلب (جيهان) ، وارتجفت شفتاها ، وكادت الدموع
تقفز من عينيها ، حتى أن صوتها احتقن على نحو
واضح ، وهى تقول :

- ومن هذا الشخص ؟

أجابها وهو يتجه معها إلى مخرج المكان

- اسمه (خوزيه ماسياس) ، وهذا كل ما أعرفه

عنه فى الوقت الحالى .

سألته فى عصبية :

- وهل تعتقد أن هذا يكفي ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. في هذا العالم يكفي الاسم ، لمعرفة الكثير
عن أي شخص يحترف الإجرام ، وخاصة مادماً نحمل
رسمنا واضحاً له .

سألته ، وهما يغادران المكان بالفعل :

- لماذا لم تتوصلاً الشرطة إليه إذن ؟

هز كتفيه ، قائلاً في سخرية .

- ربما كان لديهم أسماهم .

اتجهت الأنظار كلها إليهما في حذر ، فقد بديا بزيهما
الأسبق أشبه بدائرة بيضاء ، وسط مساحة شديدة السواد ،
وخاصة عندما تخليا عن الطريق الرئيسي ، وانحرفا
إلى شارع جانبي ، جذب خلفهما ثلاثة من المجرمين ،
صاح بهما أحدهم وهو يلوح بمسدسه في وجهيهما :

- نقودكما .. نريد نقودكما على الفور ، وإلا نسفنا
رأسكما .

تجاهلته (جيهان) تماماً ، وهي تقول - (أدهم)
بالعربية .

- أيتكرر هذا الموقف كثيراً هنا ؟

أجابها في سخرية :

- إنهم يتصورون أننا وقعنا في الفخ ، عندما دلفنا
إلى هذا الشارع الجانبي ، ولن يتصور أحدهم قط أنهم
الذين سعوا إلى فخنا .

توتر الرجال الثلاثة ، مع تلك الحديث باللغة العربية ،
فهتف الرجل الذي يصوب إليهما المسدس ، وهو يجذب
إبرته في عصبية وغضب :

- لا تتظاهرا بأنكما تجهلان الإنجليزية .. نريد
نقودكما وإلا ..

قاطعه (أدهم) بفتة ، بلغة إنجليزية ، ولكنة
أمريكية سليمة تماماً :

- أين تجد (خوزيه ماسياس) ؟

اتعقد حاجبا الرجل في توتر ، وتبادل نظرة عصبية
مع زميليه ، قبل أن ينقض على (أدهم) ، ويلصق فوهة
مسدسه بفتقه ، صائحاً :

- ماذا تريد من (خوزيه) يا رجل ؟ .. أجب وإلا ..
قاطعه (أدهم) مرة ثانية ، وشفتهاء تحملان ابتسامة
ارتياح ساخرة :

- آه .. إذن فأنت تعرفه .. عظيم .. هذا يوفر الكثير
من الوقت والجهد .

ارتفع حاجبا الرجل في دهشة ، وقبل أن يخفضهما ،

كانت يد (أدهم) اليسرى تضرب معصمه ، وتبعد فوهة
المسدس ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها يده
اليمنى كالقنبلة ، لتهشم أنفه ، وتحيله إلى كتلة حمراء ،
اختلط لحمها بدمها ..

ومع حركة (أدهم) ، انقضت (جيهان) على المجرم
الثاني . ولكمته في أسنانه مباشرة . وهي تقول :
- لسنا نحمل نقودا كافية . هل تكفى اللكمات ؟
تراجع المجرم الثالث في زعر ، مع ذلك الهجوم
المباغت ، وصرخ بكل ما يملك في قوة :
- التجدة .. التجدة يا رفاق .

ولم تكد صرخته تنطلق ، حتى انتزع أكثر من
عشرين مجرما مسدساتهم من أحذيتهم ، وانطلقوا
انطلاقه رجل واحد ، نحو ذلك الشارع الجانبى ، الذى
يقف فيه (أدهم) و (جيهان) ..
وانطلقت الرصاصات .

* * *

١٠ - قبضة العدو ..

ضغط المفتش (هاتكس) ضمادة الثلج ، على تلك
الكدمة في فكه ، وهو يقول فى حنى :
- يا لجرأته ! .. ذلك الرجل حطم كل قواعد العقل
والمنطق ! .. كيف يأتى بنفسه إلى هنا ، وينتزع منا
المعلومات ، ثم يفانى المكان ، بعد أن يخدعنا جميعا .
إنها فضيحة .

هز أحد الآخرين رأسه ، على نحو يوحي بأن الذهول
لم يفارقه بعد ، وهو يقول :
- ولكنه كان نسخة طبق الأصل منك يا (هاتكس) ..
ملاحه .. صوته ..

إننى لم أر ، بل ولم أتصور فى حياتى كلها تتكررا
بهذا الإتقان .

وقال آخر فى التيهار :
- والثقة الزائدة ، التى تصرف بها ، أربكتنا جميعا ،
فلم ننتبه إلى خدعته ، إلا بعد أن غادر المكان بالفعل .
التفت إليهما (هاتكس) ، هاتفا فى غضب :

- حسن .. متى سيبدأ الجميع في كتابة الملحمة الأسطورية ، لتمجيد ذلك الرجل ؟ .. هل نسيت أنه خصم لنا ؟

تبادلوا نظرة صامتة ، قبل أن يهز أحدهم كتفيه ، قائلاً :

- حتى الخصم يستحق الإعجاب في بعض الأحيان .

صاح (هاتكس) ، في حلق :

- فليكن .. احتفظ بهذا الإعجاب في أعماقك إنن ، ولا تفصح عنه هنا ، وهذا ينطبق عليكم جميعاً .. المفترض أن تشعروا بالخجل ، بعد فراره منكم ، وليس بالانبهار بما فعله .

غمغم أحدهم في خبث :

- لقد بدأ رحلة الهروب من مكتبك أيها المفتش .

صاح به (هاتكس) :

- ماذا تقول ؟

ابتسموا جميعاً ، في حين أشاح صاحب القول بوجهه ،

مخفياً بمزيد من الخبث :

- لم أكل شيئاً .

اتعقد حاجبا (هاتكس) في حلق ، وهو يذلف إلى

حجرة مكتبه ، ويلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو

يضغط ضمادة الثلج على كدماته أكثر ، متمتماً :

- اللعنة !

لحق به أحد زملائه ، وسأله في اهتمام :

- ماذا ستفعل الآن ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب في ضيق :

- لست أدري .. لا يمكننا إذاعة ما حدث هنا ، فهي

فضيحة بكل المقاييس الأمنية .

وتنهّد في عمق ، وهو يشرّد ببصره بضع لحظات ،

قبل أن يضيف في اهتمام :

- ثم إن حديثه يثير اهتمامي بالفعل ، ويمكنك القول

بأنه نجح في جذب انتباهي إلى قضية (إيدن)

و (فريمان) .

سأله زميله :

- أعتقد أنهما كانا يعملان لحساب جهة ما ؟

صمت (هاتكس) ليضع لحظات أخرى ، قبل أن

يومي برأسه إيجاباً ، ويقول :

- بعد مراجعة الموقف كله ، أكاد أكون واثقاً من

أنهما كذلك .

ثم أشار بيده ، مستطرداً في حزم :

- ومن أنهما ليسا الوحيدين ..

ارتفع حاجبا زميله في دهشة ، قبل أن يقول :
- رباه ! .. هل تعنى أنها شبكة جاسوسية كاملة ؟
أوما (هاتكس) برأسه ، قائلا :
- لن يدهشنى هذا .

هز زميله رأسه في حيرة ، قبل أن يسأله في اهتمام :
- وهل جاء ذلك الرجل إلى هنا خصيصا ، ليخبرك
بهذا الأمر ؟

عاد حاجبا (هاتكس) يتعقدان ، وهو يقول :
- كلا . ليس لهذا السبب بالتحديد . لقد أراد الحصول
على معلومات بشأن (خوزيه ماسياس) .
ارتفع حاجبا زميله بدهشة للمرة الثانية ، وهو
يقول :

- (خوزيه ماسياس) ؟! ومن (خوزيه) هذا ؟
زفر (هاتكس) في حرارة ، قبل أن يقول :
- هذا يدهشنى أيضا . ففى هذا الصباح فقط ، لم تكن
لدينا أية فكرة عن (خوزيه ماسياس) هذا ، ثم تلقينا
فجأة ، بواسطة البريد الإلكتروني (*) صورة لذلك المدعو

(*) البريد الإلكتروني (F. Mail) وسيلة قصصات برهنية
حديثه ، تعتمد على ربط شبكة الهاتف بأجهزة الكمبيوتر ، نفس الصور
والمعلومات بسرعة فائقة

(ماسياس) ، مع سيل من المعلومات عنه ، من مصدر
مجهول . وبعدها بساعة واحدة ، وقبل أن يصل الرجال
الثلاثة ، الذين أرسلناهم خلفه ، إلى ناصية الشارع ،
وصل (أدهم صبرى) ، منتحلا شخصية (تيم بارتون) ،
ليطلب هذه المعلومات . ألا يبدو لك هذا عجيبا ،
ومثيرا للدهشة والشك والحيرة ؟!

وافقه زميله بإيماءة من رأسه ، وقال :
- هذا صحيح .. من الواضح أن أحدهم أرسل إلينا
هذه المعلومات خصيصا ، لأنه واثق من أن (أدهم
صبرى) هذا سيسعى إليها ..
أشار (هاتكس) بسببته ، وهو يقول في حسم :
- ليس لدى أدنى شك فى هذا ، ولكن السؤال الآن
هو من ؟ .. من يفعل هذا ؟ .. ولماذا ؟!
تطلع إليه زميله في صمت . والسؤالان يدويان فى
رأسه ..

من ؟ ..
ولماذا ؟ ..

* * *

انطلقت ضحكة السنيورا عالية مجلجلة ، وهى جف
جسدها بمنشفة كبيرة أنيقة ، إثر صعودها من حوض

السباحة ، قبل أن تسترخي فوق مقعد وثير ، من
المقاعد المخصصة للمكان ، وتقول لمساعدتها في جذل :
- أنا فعلت هذا بالطبع .. عملت في صفوف
الشرطة أرسلوا لي ذلك الرسم ، الذي صنعه رؤسائهم
لـ (خوزيه) ، وأدركت أن (أدهم صبرى) سيحصل
عليه ، من خلال عملاء المخابرات المصرية ، وأنه
سيسعى للحصول على معلومات عن (خوزيه) ،
فوضعت نفسي في موضعه ، وحاولت أن أتقنص
شخصيته وأتحر بأسلوبه ، مما قادني إلى أنه سيحاول
الوصول إلى المباحث الفيدرالية ، أو المخابرات
المركزية . للحصول على مثل هذه المعلومات ،
فأرسلتها إلى كليهما ، ليتوصل هو إليها ، وينطلق
خلف (خوزيه) .

بدت الدهشة على وجه مساعدتها ، وهي تسألها :
- ولماذا هذا الأسلوب المعقد يا سنيورا ؟! .. كان
بإمكانك إرسال تلك المعلومات إلى المخابرات المصرية
مباشرة ، وسترسلها حتماً إليه أينما كان !
مطت السنيورا شفيتها ، قائلة :

- هذا يثبت أن الزعامة ليست سهلة ، وقيادة الأمور
ليست بالعمل الذي يمكن أن يقوم به أي شخص .

ثم اعتكلت تواجها ، مكلمة :

- لو أنني أرسلت تلك المعلومات إلى المخابرات
المصرية مباشرة ، لراوتهم آلاف الشكوك ، التي
سينقلونها حتماً إلى (أدهم) ، فيتحرك في حذر ،
ويشتك في كل موطن لقدميه ، فنخسر أهم هدف نسعى
إليه ، في هذه اللعبة كلها .

ومالت نحوها أكثر ، لتضيف صوت كالفحيح :
- المفاجأة !

تطلعت إليها مساعدتها في اتبهار ، فأطلقت السنيورا
ضحكة أخرى ، وتراجعت لتسترخي ثانية في مقعدها ،
مستطردة في زهو :

- أما عندما يسعى هو خلف المعلومات ، ويحصل
عليها بشق الأنفس ، ويقاتل للوصول إلى (خوزيه) ،
فسيدو له الأمر طبيعياً للغاية ، حتى أنه لن ينتبه كثيراً
إلى الفخ ، إلا عندما يصبح داخله بالفعل ، وعندئذ ..
فرقت صبايتها وإيهامها ، عند هذه النقطة ، وأطل
بفض الدنيا كلها من عينيها ، وهي تكمل في وقت ..
- سيحدث ما أسمى إليه منذ البداية .

وكما أطل البقض والمقت من عينيها وصوتها في
صرعة ، اتسحبا كالبرق ، وهي تسهل جفنيها ، وتسترخي

في مقعدها ، وشفتهاها تحملان ابتسامة كبيرة .
البتسامة تظفر ..

وثقة ..

* * *

عندما انقض جيش المجرمين على ذلك الشارع
الجانبى ، الذى يقف فيه (أدهم) و (جيهان) كانوا
يتصورون أنهم يواجهون مغامرین عاديين ، جرءوا
على التصدى لزملائهم الثلاثة ، الذين حاولوا الاستيلاء
على نفوذهما ..

ولذلك كان عامل المفاجأة شديد العنف بالنسبة لهم .
عندما جذب (أدهم) إليه المجرم الأول ، الذى يعرف
(خوزيه) ، واستل من جيبه مسدسا بسرعة البرق .
وهو يقول فى سخرية :

- مرهى يبدو أن هؤلاء الأوغاد كائنمل ، تجذبهم
الرائحة التى يطنقها كشافوهم ، عندما يعثرون على
السكر

ومع قوله ، انطلقت رصاصاته ، ورصاصات (جيهان) .
وعند هذه النقطة بالتحديد ، تجلى الفارق الضخم ،
بين المحترف الحق ، ومجرم الشوارع . الذى لم يتلق
أية تدريبات فعلية ..

لقد انطلقت رصاصات (أدهم) و (جيهان) ،
لتطيح بسنة من مسدسات المجرمين ، فى اللحظة الأولى ،
و (جيهان) تهتف :

- كنت أتمنى أن أطلق النار على رؤوسهم مباشرة ،
لولا أنك تمنعنى من هذا دائما يا رئيسى المباشر .

أجابها (أدهم) ، وهو يجذب الرجل الفاقد الوعي ،
نحو مدخل جانبى للبنية الضخمة ، التى تحتل ناصية
الشارع :

- ليس من الضرورى أن نتحول إلى مجرمين ،
لنتصدى للجريمة يازميلتى العزيزة .

تراجع المجرمون فى ارتعاج ، مع رد الفعل المباغت
لـ (أدهم) و (جيهان) ، وامتلأت نفوسهم بالدهشة ،
مع تلك الرصاصات ، التى تطيح بمسدساتهم ، دون أن
تخترق أجسادهم . ثم لم تلبث طبيعتهم النهمجية أن
طرحت خلفها كل التساؤلات والانفعالات ، وعادوا
ينقضون فى وحشية ، فى نفس اللحظة التى اختفى فيها
(أدهم) و (جيهان) مع أسيرهم ، داخل ذلك المدخل
الجانبى و (جيهان) تقول فى حدة .

- إذن فأنت تعتقد أن إطلاق النار على رأس مجرم
يهاجمك ، ويسعى لتصف جمجمتك ، هو عمل إجرامى ؟ ..

دفعها (أدهم) أمامه ، وهو يحمل أسيره ، ويقفز
عبر درجات السلم ، قائلاً في صرامة :
- بل أعتقد أن كل إثم ينضج بما فيه ..

اتطلقا يصعدان في درجات السلم عدواً ، ووقع أقدام
المجرمين يتصاعد ، وهم يقتحمون المبنى ، فقالت
(جيهان) :

- طبقاً للحسابات البسيطة ، ألا تعتقد أنه كان من
الأجدي أن تقلل عدد المطاردين ، بنسف بعض
الرهوس ؟

توقف بقية ، قائلاً في حزم :

- أتفق معك تماماً في ضرورة تقليل عدد المطاردين ؟
ثم أمال مسدسه ، ليطلق النار نحو المجرمين ،
الذين يطاربونهما عبر السلم ، مستطرداً :

- ولكنني أختلف معك في حتمية نسف الرهوس .

اخترقت رصاصاته سيقان المجرمين ، فسقطوا على
السلم ، وارتطم بهم رفقهم ، وماد الاضطراب والارتباك ،
فهزت كتفها ، وهي تواصل العدو ، قائلة :

- ولماذا لم نفعل هذا منذ البداية ؟

أجابها وهو يلحق بها ، حاملاً أسيره :

- لم يكن هذا ليعوقهم في الشارع ، ولكنه يوقفهم

لبعض الوقت على درجات السلم



دفعها (أدهم) أمامه ، وهو يحمل أسيره ، ويقفز عبر

درجات السلم .

أشارت إلى أعلى ، هاتفة :

- عظيم .. ولكن إلى أين تظن ستقودنا هذه المطاردة ؟!
هل تنتظرنا طائرة على السطح مثلا ؟ أم أننا سننتحر
بالبقاء أنفسنا من فوقه ؟

ابتسم ، قائلا :

- لا هذا ولا ذاك . إتنا لن نصل إلى السطح أبدا .
كأننا قد بلغنا أحد طوابق المبنى ، فاستطرد في حزم :
- امنعهم من الوصول إلينا ، حتى أحصل على
ما نحتاج إليه من معلومات .

استدارت تستمى بحاجز السلم ، وتطلق النيران على
السيقان ، قائلا في ضجر :

- أما زال إطلاق النار على الرعوس محظورا ؟!
أجابها في صرامة ، وهو ينزل أسيره عن كتفه :
- وبدون أية استثناءات ؟

مطت شفيتها ، وواصلت إطلاق النار ، مغممة :
- العمل معك مرهق بالفعل

تجاهل تعليقها هذه المرة ، وهو يخرج من جيبه
زجاجة نشادر ، انتزع غطاءها وأدناها من أنف المجرم ،
الذى سعل في شدة ، وهو يستعيد وعيه ، فاستقبله
صوت (أدهم) الصارم ، وهو يسأله :

- أين أجد (خوزيه ماسياس) ؟

حدق المجرم في وجهه لحظة ، قبل أن يهتف :
- لست أعرف شيئا عن ...

قاطعه لكمة قوية من قبضة (أدهم) ، أصابت فكه
مباشرة ، وحطمت اثنتين من أسنانه الأمامية ، فصرخ
مذعورا :

- لا يمكنني أن أخبرك .. سيفقتلني (خوزيه) لو فعلت .
أجابه (أدهم) في صرامة :
- وسأقتلك أنا لو لم تفعل .

حدق المجرم في قبضة (أدهم) المضمومة في رعب ،
وتردد لحظة ، قطعها (أدهم) ، قائلا في صوت مخيف :
- هنا .. ليس لدينا الوقت كله لنستمع إليك .

حسمت تلك الصرامة تردد الرجل ، فاندفع يقول في
ارتياح :

- لن تجد (خوزيه) هنا .. لقد أرسله الزعيم
لمقابلة وسيط كولومبي ، من أجل صفقة مخدرات جديدة .
سأله (أدهم) في صرامة :

- وأين سيقابل ذلك الوسيط ؟

زاغت عينا الرجل ، وتردد بشدة ، فضم (أدهم)
قبضته ثانية ، وهو يقول في حدة غاضبة :

- قلت لك : ليس لدى وقت للانتظار .

أسرع الرجل يهتف في هلع :

- سيقابله هناك ، عند السيدة .

اتعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وسرت موجة من

التوتر في جسده ، وهو يصانه :

- أية سيّدة ؟

أجاب الرجل في سرعة :

- السيدة التي تحمل الشعلة .. أعنى عند التمثال ..

تمثال الحرية (*)

هتفت (جيهان) في سخرية :

- ياله من مكان رومانسي ، لإتمام صفقة مخدرات !

ثم أردفت ، وهي تطلق رصاصاتها نحو المجرمين :

- وبالمناسبة .. إنك لم تبعد عن الحقيقة كثيرا ،

عندما شبهت هؤلاء الأوغاد بالتمل ، فهم يتوافدون على

(*) تمثال الحرية - تمثال صخم ، مقام في جزيرة صمد مدخل ميناء

(نيويورك) ، أعده الفنان الفرنسي (بارنولدي) ، تحليذا لذكرى

الثورتين ، الأمريكية والفرنسية ، يبلغ ارتفاعه نحو ٤٦ مترا ، وصنع كله

من النحاس ، على هيئة امرأة ، تحمل بيدها مشعلا ، وارتفاع قاعدته

١٥ مترا ، أهنته الرابطة الرسمية الأمريكية للولايات المتحدة عام

١٨٨٤ م ، وأصبح رمزا قوميا عام ١٩٢٤ م .

المكان بأسرع مما أسقطهم ، ولقد أصبح هناك جيش

حقيقي منهم ، يحاول اللحاق بنا ، ولم يعد لدى سوى

خزانة رصاصات إضافية واحدة .

أجابها في حزم :

- ربما لا تحتاجين إليها ..

قالتها ، وهوى على فك المجرم بكلمة عنيفة ،

أسقطته فاقد الوعي ، ثم نهض واقفا ، وأخرج من جيبه

قبلة ، ارتفع لمراها حاجبا (جيهان) ، وهي تقول :

- عجباً !.. فيم كان حديثك عن الحياة ، وضرورة

الحفاظ عليها إذن ؟!

أجابها في حزم ، وهو ينتزع صمام الأمان من

القبلة :

- إنها ليست قبلة عادية .

نطق عبارته ، وهو يلقي القبلة نحو جيش

المجرمين ، الذي يحاول تجاوز رصاصات (جيهان) ،

ليصل إليهما ، ويسحقهما سحقاً ..

وفي رعب هائل ، صرخ أحد المجرمين :

- يا للشيطان ! .. إنها قبلة .

لم تكذ صرخته تنطلق ، حتى تضاعف الهرج والمرج

في المكان ، وانطلق المجرمون يحاولون الفرار ،

في أكبر فوضى رأيتها (جيهان) في حياتها ، دون أن
يبالى أحدهم بالآخرين ، الذين سقطوا على درجات
السلم ، وداستهم الأقدام ، وحطمت منهم الصدور
والضلوع والأعناق ..

وفي سخرية ، قالت (جيهان) :
- فهمت اللعبة .. إنها مجرد قبلة زائفة ، لإشارة
الذعر والفرح بينهم .

ابتسم (آدم) في هدوء ، قائلاً :
- خطأ

ولم يكذ ينطق العبارة ، حتى انفجرت القبلة .
ومع انفجارها ، غمرت سحب الدخان الكثيفة المكان ،
وتعالى سعال المجرمين مع تضاعف ذعرهم وارتباكهم ،
في حـ ارتفاع حاجب (جيهان) في دهشة ، وهي
تهتف :

- قبلة دخان ؟! عجباً ! .. ولكنها لا تشبه أية
قابل دخان رأيتها من قبل !!

جذبها من يدها ، وهو يقول :

- قلت لك ، إنها ليست قبلة عادية .

سألته ، وهي تعدو إلى جواره ، إلى حيث يقودها :
- ومن أين حصلت عليها ؟

ابتسم ، قائلاً :

- تذكرى أيتها النقيب .. أهم مبدأ في عالم
المخابرات ، هو أن المعرفة دائماً بقدر الحاجة
قالت في هتق :

- وهل ينطبق هذا على زملاء العمل ؟

ضحك قائلاً :

٢٠

- بالتأكيد ..

ثم قادها عبر ممر طويل إلى مبنى آخر ، فهتفت في
دهشة :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

- معظم المباني هنا على هدد الصورة كل مبنيين
متجاورين يتمثلان تقريبا ، ويربطهما ممر كهذا .

انعقد حاجباها ، وهي تقول :

- من الواضح أنك كنت تعرف هذا منذ البداية .

أجابها في بساطة ، وهو يقودها إلى الطابق السفلي :

- بالطبع . عيبك أيتها النقيب أنك لم تدركي بعد

أننى لا أتصرف قط على نحو عشوائى . هل تصورت

أننى وصلت إلى هنا قبلك . وأضعت الوقت في انتظارك ،

دون أن أفعل شيئا ؟! إننى لم أدرس المنطقة فحسب ،

ولكننى اخترت أيضاً ذلك الشارع الجانبى ، وأعددت وسيلة الفرار أيضاً .

قالت ساخرة فى عصبية :

- وماهى وسيلة الفرار باسميادة العميد ؟ .. هل سنعدو وسط شوارع المنطقة ، أم نذهب إلى محطة مترو الأنفاق بكل هدوء ، ونستقل المترو إلى قلب (نيويورك) ؟!

ابتسم وهو يفتح باباً فى الطابق السفلى ، قائلاً :

- لا هذا ولا ذاك .. عندى وسيلة أفضل .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تحذق فى السيارة الرياضية الأنيقة ، التى تحتل مكانها داخل مرآب صغير ، وهتللت فى سعادة :

- سيارتى .

ألقي إليها مفاتيح السيارة قائلاً :

- نعم . هى سيارتك .. هيا .. سنقودينا إلى خارج هذا المكان البغيض .

اتخذت مكانها خلف عجلة القيادة ، وهى تشير إلى باب خشبى ، يسد الجدار المقابل ، قائلة :

- هل سنفتح هذا الباب أولاً ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- كلاً .. سيفقدنا هذا عامل المفاجأة .

ابتسمت فى شئ من الجذل ، وهى تدير المحرك ، مخمضة :

- هذا صحيح .

ثم ضغطت دواسة الوقود ، ورفعت عصا السرعة .. وأطلقت بالسيارة الرياضية ..

وأمام أعين ذلك الجمع من المجرمين ، اخترفت السيارة الباب الخشبى ، وأطلقت وسط أقذر شوارع (نيويورك) ..

وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، هتف أحد المجرمين فى ثورة :

- إتبعنا يحاولان الفرار .

وإثر هتافه ، استدارت قوّهات المصنّعات كلها نحو السيارة الرياضية ، فخمغم (أدهم) :

- يبدو أن الخطر لم ينته بعد بإزميلتى العزيزة ..

مازلنا فى قبضة العدو .

ولم يكذ ينتهى من قوله ، حتى أطلقت رصاصات الجميع نحو السيارة الرياضية .. وبلا رحمة .

١١ - الحصرية ..

اندفع أحد رجال المباحث الفيدرالية إلى حجرة المفتش (هاتكس) ، الذي اتهمك في مراجعة خريطة كبيرة لمدينة (نيويورك) ، وهتف به في انفعال :
 - (هاتكس) . كنت على حق يا رجل (أدهم صبرى) يقاتل في حي الجريمة الآن
 التفت إليه (هاتكس) بحركة حادة ، قائلاً :
 - يقاتل .

ثم التقط سترته في عصبية ، مستطرداً :

- وماذا فعلتم بهذا الشأن ؟

أجاب الرجل في حماس :

- ليس لنا رجال هناك ، ولا يمكننا إضاعة الوقت ،
 لذا فقد اتصلت بأقرب قسم للشرطة ، وطلبت منهم ..

قاطعته (هاتكس) بهتاف ساخط :

- قسم شرطة ؟! . وهل تتوقع أن يفعل رجال الشرطة شيئاً في هذا الشأن ؟! .. إنهم يخشون الاقتراب من مثل هذه الأماكن ، في الظروف العادية ، فما بالك بما سيكون عليه أمرهم ، عندما تشتعل الحرب هناك .

هتف الرجل في دهشة :

- الحرب ؟! .. إنه مجرد قتال . بين (أدهم صبرى) هذا وزمرة من المجرمين .

لوح (هاتكس) بسبابته في وجهه ، قائلاً في حدة :
 - خطأ يا رجل . عندما يرغب رجل مثله في مواجهة المجرمين في عرينهم ، فإنه لا يكتفى بقتال بسيط ، بل يشن حرباً شعواء .

اهتم الرجل في سخرية ، قائلاً :

- عجباً !.. كنت تلومنا لأننا نمتدح الرجل

انعتقد حاجباً (هاتكس) في شدة ، وهو يهتف :

- لست أمتدحه .. إنما أذكر ما يمكن أن يفعله
 فحسب .

ثم اندفع مغادراً حجرته ، ومستطرداً في انفعال :

- وعلى أية حال ، لن تكون هناك جدوى من مناقشة مثل هذا الأمر . إلا بعد أن نلقى القبض عليه ، قبل الوصول إلى مرحلة التدمير الشامل .

لحق به الرجل ، وهو يتساعل :

- هل تعتقد أن المجرمين سيدمرونه تماماً هناك ؟!

التفت إليه (هاتكس) ، قائلاً في حدة :

- لم أكن أعنيه بالتدمير الشامل

ثم عاد يواصل اندفاعه ، مستطرذا في عصبية :
- كنت أعنيهم .

واتسعت عينا زميله في دهشة عارمة ..
دهشة بلا حدود ..

* * *

لم تهتز ذرة واحدة في جسد (جيهان) ، وهي تنطلق بسيارتها الرياضية نحو المجرمين ، الذين يطلقون عليها النار بلا رحمة أو هوادة ، في حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، عندما أصابت الرصاصات جسم السيارة وزجاجها ، دون أن تنجح في اختراقهما ، وإنما ارتدت عنهما في عنف ، أصاب المجرمين بدهشة عارمة ، و (جيهان) تضحك في مزح ، قائلة :

- ما رأيك في المفاجأة ؟ .. لقد ابتعت سيارة رياضية مصفحة هذه المرة !

ثم هتفت مستطرده ، وهي تتحرف بالسيارة في حركة حادة :

- ولكنك لم تتحن لتفادي الرصاصات ! .. هل كنت تعلم أن السيارة مصفحة !؟
أجاب في بساطة :

- هل كنت تتوقعين مني أن أقودها طوال ما يزيد على الساعة ، دون أن أدرك هذا ؟
مطت شفتيها الجميلتين ، وهي تنطلق مبتعدة عن المجرمين ، الذين واصلوا إطلاق النار على السيارة ليضع لحظات ، قبل أن يلوحوا بقبضاتهم في سخط خلفها ، وقالت :

- هؤلاء الأوغاد في معرض السيارات ، أخبروني أنه من المستحيل تمييزها عن السيارة العادية ..
أجاب في هدوء :
- ليس بالنسبة لمحترف .

ران عليهما الصمت بضع لحظات ، وهي تنطلق في طريقها ، في حين أمبل هو جفنيه ، واسترخى في مقعده ، كما لو أنه مستغرق في نوم عميق ، فسأله في حذر :

- هل تعتقد أننا سنجد (خوزيه) هذا عند تمثال الحرية بالفعل ؟

غمغم في خفوت :

- ليس أمامنا سوى أن نبحث عنه هناك .

قفز سؤال آخر إلى عقلها ، وانحدر بسرعة إلى لسانها ، ثم توقف على طرفه متردداً ليضع لحظات ، قبل أن يشب عبر شفتيها ، قائلة :

- وهل تظن أنه سيقودنا إليها ؟

خفق قلبها مع ارتجافة شفثيه ، عندما أشارت إلى
(منى) واعتصر حزن بارد كالثلج صدرها ، مع ذلك
الصمت ، الذى لاذ به لثوان معدودة ، قبل أن يجيب فى
هزم :

- لو أن نظريتى سليمة ، فسيقودنا (خوزيه) هذا
إلى السفير وزوجته ، وبالتالى إلى (منى) .
ترددت مرة أخرى ، قبل أن تقول فى حياء من
العصبية :

- هذا لو أنها ما زالت على قيد الحياة ..
انعقد حاجبها فى شدة ، دون أن يفتح عينيه ،
وصمت ثوانى أخرى ، قبل أن يقول بلهجة تحمل الكثير
من الصرامة :

- لو أرادوا قتلها لما اختطفوها فى سيارة إسعاف
خاصة مجهزة .
قالت فى توتر :

- ربما فعلوا هذا ليتقنوا دورهم فحسب .
أجاب فى خشونة :

- ولماذا يبذلون كل هذا الجهد ؟ . كأن يكفيهم أن
يطلقوا عليها النار ، فى حجرة العناية المركزة فحسب .

ازدردت لعابها فى توتر ، وألقت نظرة على ملامحه ،
التي اكتست بالكثير من الغضب والصرامة ، وهمست
فى قلبى :

- هل أغضبك حديثى هذا ؟

أجابها فى انقباض :

- كلا .

انتفض قلبها فى صدرها لقوله المقتضب الجاف ،
وتمنت لو أوقفت السيارة ، وبكت معذرة تحت قدميه .
إنها لم تدرك حتى لماذا جذبته إلى هذا الحديث ؟!..

لماذا تعدت الإشارة إلى احتمالات موت (منى) ؟!
هل تتمنى هذا بالفعل ، فى عقلها الباطن ؟!..

هل تعتقد فى أعماقها أن سبيلها الوحيد إلى قلب
(أدهم) هو إزاحة غريمته عنه ؟!

أفزعتها الفكرة ، وأصابها أعماقها بالذعر ،
فانتفضت فى عنف ، وكأنها تحاول إبعادها عن رأسها ،
ولكن (أدهم) انتبه لاستفاضة ، ففتح عينيه ، وتطلع
إليها فى دهشة ، قائلاً :

- ماذا حدث ؟!

توترت أكثر لمسأله ، وبحث عتقا فى سرعة عن جواب
للفرار منه . ولكن عقلها لم يهدأ إلا إلى أن تقول :

- هل تريد معرفة المعلومات ، التي جمعها رجالنا
عن (توماس) ؟

أدرك على الفور أنها تتهرب من سؤاله ، ولكن
الطريق الذي سلكته كان يهيمه كثيرا ، فاعتدل يقول :
- بالتأكيد .. ما الذي عرفوه عنه ؟

ازدردت لعابها ، وهي تحمد الله (سبحانه وتعالى)
على اهتمامه ، وأجابت في سرعة :

- اسمه (توماس كلارك) ، قاتل محترف ، ظل لعدة
سنوات يعمل لحساب (المافيا) ، ثم استقل بعمله منذ
أربع سنوات ، وظل يعمل لحساب من يدفع الثمن ، قبل
أن يلتقي بعدد من القتل المحترفين الآخرين ، ويفكرون
في ابتكار شكل جديد للمهنة ، من خلال اتحاد للقتلة
المحترفين .

اتفقد حاجباه ، وهو يقول في اهتمام :

- اتحاد للقتلة ؟! فكرة جديدة وحقيقية بالفعل .

أجابته في حسم :

- ولكنها مربحة للغاية .. لقد أصبحوا كلهم من
أصحاب الملايين ، وراجت أعمالهم على نحو لم يحدث
لكل منهم منفردا ، ثم إنهم خبراء في مجالهم ،
والرجال الثلاثة الذين لقوا مصرعهم هم (تشارلز

دار) ، خبير الأسلحة ، ونظيره (توني ويلكوكس) ،
و (آرثر ميلوسكي) ، خبير المتفجرات ، ومازال
الاتحاد يضم ستة من الخبراء المحترفين ، بالإضافة إلى
(توماس كلارك)

صمت بضع لحظات ، وهو يفكر في عمق ، قبل أن
يسألها :

- وما علاقة اتحاد القتل هذا بالسنيورا ؟

هزت رأسها نفيا ، محيبة :

- لم يجد الرجال أية علاقة مؤكدة ، ولكن الزنحى
الذي حاول قتلك في السجن ، كان يعمل يوما لحساب
(تشارلز دار) ، والمعتقد أنه واصل العمل لحساب
اتحاد القتل ، مع عدد آخر من المتعاونين ، في شتى
المهن والمجالات .

أوما (أدهم) برأسه متلهما ، وقال :

- هذا يبدو واضحا ، فعندما ألقى الزنحى قذاحته
المشتعلة نحوى ، قال إن السنيورا ترسل إلى تحياتها ،
وهذا يعني أنه يعمل لحسابها ، أو لحساب من يعملون
لحسابها ، وهذا يقوينا بالتبعية إلى أن اتحاد القتل
يعمل لحساب السنيورا .

ثم تنهد ، قبل أن يستطرد :

- هذا ما استنتجته منذ البداية .. كل مشكلاتنا تدور
حول السنيورا ،
اندفعت ، قائلة :

- حتى اختطاف (منى) !؟ ..

لم يكد السؤال يتجاوز شفقتها ، حتى تفجرت في
أعماقها موجة عارمة من الندم والسخط ..
هاهي ذى تعود ، دون أن تنتبه ، إلى نفس النقطة ،
التي ناورت لتتحاسن الخوض فيها ..
نفس النقطة ، التي يختنق قلبها ، كلما استثيرت ،
وتتمزق مشاعرها مع الحديث عنها .
واعترضت نفس القبضة الباردة قلبها ، عندما انعقد
حاجباه في توتر ، وأجاب في صرامة :

- لو أن السنيورا تفهم طبيعتي جيدا كما أتوقع ،
فستكون المسنولة عن عملية اختطاف (منى) بالتأكيد .
ثم عاد يسترخى في مقعده ، ويسبل جفنيه ، على
الرغم من اللهجة الصارمة القاسية ، التي حملها صوته ،
وهو يضيف :

- ولكنها ستدرك ، بعد فوات الأوان ، أن اختطاف
(منى) كان أكبر خطأ ارتكبته في حياتها كلها
انتفض جسد (جيهان) ثانية ، وهي تسمع منه هذا .

وأدركت أن تلك الخطوة الحمقاء ، التي أقدمت عليها
السنيورا ، ستعنى الكثير ..
والكثير ..
والكثير ..

* * *

ارتفعت عيون السكان البسطاء ، في تلك القرية
المكسيكية البسيطة ، تطلّع في بلاد إلى الهليوكوبتر
الضخمة ، ذات المروحتين ، التي حلقت فوقهم ، في
طريقها إلى قلب الصحراء المكسيكية ، وتابعوها
ببصرهم ليضع لحظات ، حتى اختفت خلف قمم الجبال
القرية . ثم عادوا لمتابعة أعمالهم ، وكأما اعتادوا
مش هذا الأمر ، الذي يزعجهم بأكثر مما يشير فضولهم .
أما داخل الهليوكوبتر نفسها ، والمجهزة على نحو
خاص ، جعلها أشبه بغرفة عناية مركزة طائرة ، فقد
بدأ التوتر على الطبيب الكهل داخلها ، وهو يقيس نبض
مريضته ، ويقول :

- من تبقى امننا وقت طويل ، قبل الوصول إلى
المستشفى ، نستنفذ حريصة ستحتمل كل هذا
الجهد ، و ...
قاذعه رجز أثق بارد الصوت والملامح ، وهو يقول :

- لا تقلق أيها الطبيب .. لقد وصلنا تقريبا .

تبادل الطبيب نظرة متوترة مع الممرضة المصاحبة ، وجفف عن جيبته عرقاً وهمياً ، قبل أن يفهم مترنذا :
- قلقي كله يتركز على المريضة ، فهي تحتاج إلى عناية خاصة طوال الوقت صحيح أن الطائرة الطبية مجهزة للطوارئ ، ولكنني أحتاج إلى أجهزة قياس حيوية دقيقة طوال الوقت ..

أجابه صاحب الصوت البارد :

- ستجد كل شيء هناك .

ألقى الطبيب نظرة قلقة عبر النافذة ، على الصحراء الجبلية الممتدة أمامه ، قبل أن يعود لتجفيف عرقه الوهمي ، منفضاً :

- هل لي أن أعرف ، إلى أين نتجه بالضبط ؟

اكتسب الصوت البارد بشيء من الصرامة ، وصاحبه بجيب :

- ستعرف عندما نصل .

أوما الطبيب برأسه في استسلام ، وارتسم الخوف في وضوح على وجه الممرضة ، دون أن يجرؤ أحدهم على التلوه بكلمة واحدة إضافية ، والهليوكوبتر الطبية تواصل انطلاقها ، فوق الصحراء الجبلية المكسيكية ،

حتى اعترض طريقها جبل مرتفع ، فدار قائدها حوله في مهارة ، و ...

وفجأة ، اتضح المشهد كله ..

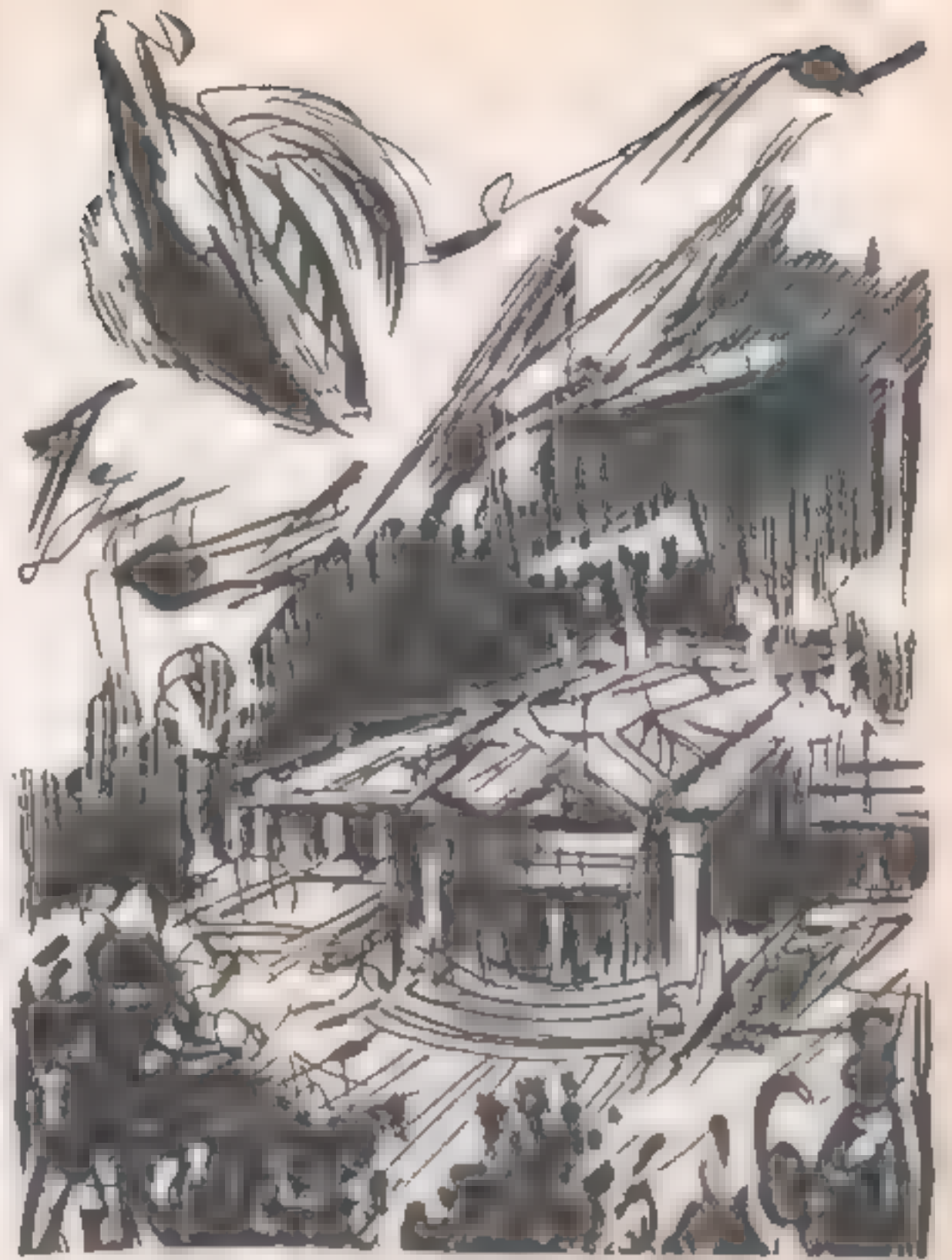
قصر مهيب منيف ، رابع التصميم والتشييد ، تحيط به حديقة غناء واسعة ، وسور مرتفع ، انتشرت فيه أبراج الحراسة ، التي يطل من كل منها كشاف قوي ، إلى جوار حارس ضخم ، مسلح بمدفع آلي .

وبزاوية خاصة فريدة ، انخفض الطيار بالهليوكوبتر ، أسفل تلك البروز الطبيعي عند قمة الجبل ، والذي يخفي القصر عن الأنظار ، من معظم الزوايا ، وراح يهبط وسط دائرة كبيرة معدة لهبوطه ، وسط ساحته الفسيحة ..

ولم تكذ الهليوكوبتر تستقر وسط المهبط ، حتى أسرع إليها فريق من الرجال ضفام الجثة ، قساء الملاح ، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم ، وهم يصوبون مدافعهم الآلية إليها ، فسهقت الممرضة مذعورة ، وهتف الطبيب في هلع :

- ما هذا ؟ .. أين نحن بالضبط ؟

اهتم صاحب الملاح الباردة في سخرية ، وهو يقول :
- لا تقلق يا رجل .. إنها مجرد إجراءات أمن عالية .



ويرونه حاصة فريدة ، انحصر بظهور بهليو كوش ، أسس

ذلك البروز الطبيعي عند قمة الجبل ..

شبهت الممرضة مرة أخرى ، وهتف الطبيب في
دهشة مستكرة :

- عادية ؟!

لم يكذب بقرع عبارته ، حتى اقتحم عدد من الرجال
الطائرة ، وبدعوا في نقل المريضة وفراشها خارجها
في عناية ، فلاحق بهم الطبيب ، هاتفا :

- حذار من أية حركة مفاجئة .. إنها ..

بتر عبارته بفتة ، عندما وجد أمامه امرأة فاتنة ،
ترمقه بنظرة تجمع ما بين الصرامة والسخرية ، وهي
تقول :

- اطمئن أيها الطبيب . هؤلاء الرجال تدرّبوا على
القيام بالعمل .. سيتم نقل المريضة بكل عناية إلى
حجرة طبية مجهزة بأحدث ما تحلم به من معدات ،
وملحق بها حجرتان أخريان ، لإقامتك أنت وممرضتك .
هتفت الممرضة مدعورة :

- إقامتنا ؟!.. ذلك السيد أخبرنا أننا سنرافق المريضة
حتى هنا فحسب .

هزت استنيورا كتفها في لا مبالاة ، قائلة :

- ربما نسي أن يخبركما أنكما ستقيمان هنا لفترة
طويلة .

ارتسم الذعر أكثر على وجهي الطبيب والمرضة ،
وحاول الأول تماكك نفسه ، وهو يقول :
- معذرة يا سيدتي ، ولكن ظروفى المهنية تمنعنى
من ...

قاطعته فى صرامة مباغثة :
- مستقيمان هنا ، حتى أسمع لكما بالعودة .
ثم أشارت إلى الرجال المصلحين ، مستطردة :
- هيا .. اتخذوا إجراءات الأمن التقليدية .
- جذب الرجال الطبيب والمرضة فى خشونة ، إلى
أجهزة الفحص ، فى حين تقدم البارد نحو السنيورا ،
وقال :
- كنت أظننا سنحتفظ بتلك الفتاة ، حتى يحين الوقت
المناسب .

هزت كنفها ثانية ، قبل أن تقول :
- رأيت أن وجودها هنا يشعرنى بالأمان أكثر .
مط شفتيه ، وهو يقول :
- فلنكن ياسنيورا .. هذا شأنك .. لقد تفاضلت
أجري .

واستدار يزمع الانصراف ، فأشارت قائلة :
- مهلا .. إنك لم تحصل على كل شيء بعد .

التفت إليها ، وابتسم وهو يسأل :
- هل قررت منحى مكافأة إضافية ؟
بدت له ابتسامتها مقلقة ، وهو تقول :
- بالتأكيد .

ثم التفتت واحدة من سجاثرها الرفيعة ، ودستها بين
شفتيها اللاتنتين ، وأشعلتها فى بطن ، ونفشت دخانها
فى عمق ، قبل أن تستعيد نفس الابتسامة ، التى بعثت
فى أعماقه الحذر والقلق ، وتكمل :
- الواقع يا عزيزى أننى أعددت الخطوة هذه المرة
بمنتهى الدقة ، ودرست كل الاحتمالات ، حتى يمكننى
ضمان الفوز ، فى معركة لم ينتصر فيها أحد من
قبلى .. ولو أنك فى موضعى ، وبذلت كل ما بذلته من
جهد ، فلن تقبل لفكرة ترك أية ثغرة من خلفك ، يمكن أن
يتسلل عبرها خصمك .

اتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
- سنيورا .. ما الذى يعنيه قولك هذا ؟
تنهت فى حرارة مصطنعة ، وهى تجيب فى خبث
مخيف :

- لا تسيء فهمى يا عزيزى ، فأنا لا أحمل لك أية
ضغائن شخصية ، ولكنها دواعى العمل .. كم يؤسفنى

أن يضطر المرء أحيانا إلى إتيان ما يفضيه ، من أجل سلامته وأمنه .

توتر الرجل في شدة ، وهتف :

.. سنيورا .. لعك لا تعنين ...

قاطعه بسرعة :

.. لا تكرهني يا عزيزي .. إنك الوحيد الذي يعلم أنني

نقلت (مني توفيق) إلى هنا ، فماذا لو توصل إليك

(أدهم) بوسيلة ما ؟

هتف الرجل :

.. لن يفعل .. أقسم لك إنه ..

قاطعه مرة أخرى :

.. عيبك يا عزيزي أنك لا تستطيع تقدير قوة خصمك ،

ويعميك غرورك عن إدراك قدراته ، وهذه نقطة ضعف

خطيرة ، تجبرني على ألا أجازف أبدا بعونتك إلى

(نيويورك) .

اضطرب ، وهو يقول :

.. هل تعنين أنني سأبقى هنا لبعض الوقت ؟

أجابته على الفور :

.. كلا يا عزيزي .

ثم انعقد حاجباها في صرامة ، مستطردة :

.. متبقى هنا إلى الأبد .

اتسعت عيناه في ذعر ، وتراجع هاتفيا :

.. كلا .. لا يمكنك أن ..

وعندما قاطعته هذه المرة ، كانت المقاطعة عنيفة

بالفعل ..

فبإشارة واحدة من يدها ، انطلقت رصاصات ثلاثة

مدافع آلية نحوه ، واخترقت جسده في مواضع شتى ،

و ...

وانتهى الأمر في لحظة واحدة ..

وفي هدوء عجيب ، هزت السنيورا رأسها في أسف

ساخر ، وقالت :

.. معذرة يا عزيزي .. إنها دواعي العمل .

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى هرع إليها أحد الرجال ،

حاملا الهاتف اللاسلكي ، وهو يقول بالأسبانية :

.. مكالمة عاجلة من (نيويورك) يا سنيورا .

التقطت الهاتف ، قائلة :

.. أنا السنيورا .. من المتحدث ؟

انعقد حاجباها ، وهي تستمع إلى محدثها في انتباه ،

قبل أن تقول في حماس :

.. عظيم .. إذن فقد وصل إليكم ، واتصرف حاملا

المعلومات التي طلبها .. رائع .. هذا يعني أن كل شيء
يسير على ما يرام .

ثم أضافت في صرامة :

- بالطبع يا رجل .. ستحصل على مكافأة سخية ..
بالطبع .

وأنهت الاتصال ، وهي تطلق ضحكة ظافرة عالية ،
قائلة :

- هذا يثبت أنني مازلت الأبرع .. هأنذا أقود (أدهم
صبرى) إلى حيث أريد ، دون أن يدرك هذا .

ثم ضغطت أزرار الهاتف في اتصالات ، ولم تكذ تسمع
صوت محدثها ، حتى قالت في حزم صارم :

- اسمعني جيداً يا (توماس) .. أنا المنيورا .. أنا
أعرف أين تجدون (أدهم صبرى) ، بعد أكل من ساعة
واحدة .. لا أريد أية أخطاء هذه المرة .. فليخرج
الفريق كله لتنفيذ المهمة ، كما سبق أن طلبت منك ..
ولا تستهينوا بقوة وقدرات الخصم قط .. أريد خطة
شاملة ومتقنة .. هل تفهم ؟

كاد (توماس) يعصر سماعة الهاتف بقبضته ،
وهو يسألها :

- أين يا منيورا ؟ .. أين سيتواجد (أدهم صبرى) ؟

أجابته بسرعة :

- على قمة تمثال الحرية .. في ذلك المكان الذي
يؤمته السموات .. سيذهب إلى هناك بحثاً عن رجل
وضعت في طريقه .. لا تضيعوا الفرصة ، وإلا خسرت
كل شيء .

عض (توماس) شفتيه في غيظ ، قائلاً في صرامة :

- اطمئني يا منيورا .. لن نخسر شيئاً هذه المرة .
وأنهى الاتصال وحاجباه المقنودان يعانقان بعضهما
في شدة ، وكيانه كله ينتفض برغبة عارمة ، لم يعد له
من هدف سواها ..

أن يقتل خصمه (أدهم صبرى) .
وبأعنف وسيلة ممكنة .



١٢ - الحصار ..

« موقفك غير مفهوم يا جنرال (تورنسول) .. غير مفهوم بالمرة .. »

ضرب وزير الدفاع الأمريكى سطح مكتبه براحته فى غضب ، وهو ينطق هذه العبارة ، واتعقد حاجباه الكثيرين ، وهو يضيف فى حدة :

— كيف تحاول اقتحام مخزن الأسلحة التجريبية . على هذا النحو العجيب ، كما لو كنت إرهابيا حقيرا أو جنديا متمردا ؟

أجابه (تورنسول) متوترا :

— الموقف كان دقيقا وحساسا يا سيدى الوزير ، و .. قاطعه الوزير فى ثورة :

— لا يوجد أبدا ما يمكن أن تبرر به موقفك .. هل تعلم أنه لولا تاريخك العسكرى القديم ، وانتصاراتك السابقة فى عملك ، لم استدعيتك لمناقشتك فى هذا الأمر ، ولألقيت القبض عليك مباشرة ، بتهمة الخيانة العظمى ، ومحاولة الاستيلاء على أسلحة تجريبية سرية .

بدا الغضب على وجه (تورنسول) ، وهو يقول :

— القاتون يمنحنى الحق فى إصدار قرارات حازمة ، فى حالات الطوارئ القصوى .
صاح به الوزير غاضبا :

— هذا صحيح ، ولكن عبارة (حالات الطوارئ القصوى) هذه تنطبق على حالات التمرد العامة ، أو محاولة غزو روسية أو كوبية ، وليس على فرار رجل واحد من السجن المركزى .
قال (تورنسول) فى عصبية :

— صحيح أنه رجل واحد ، ولكنه يسبب لنا من المشكلات ما يعجز عنه جيش كامل .. لقد حطم فريقا من أقوى رجالى فى (سويسرا) (*) ، وآخر فى (نيويورك) (**) ، ونجح فى الفرار من السجن المركزى ، وفى السخريّة من أقوى نظمنا الأمنية ، ألا تبدو لك هذه حالة من حالات الطوارئ القصوى ؟

أجابه الوزير فى عنف :

— بل تبدو لى مجرد حالة مستعصية ، تحتاج إلى ترتيب خاص للتعامل معها ، وليست حالة طوارئ

(*) رجع قصة (عذوب الساعة) المعاصرة رقم (١٠٥)

(**) رجع قصة (الأفعى) .. المعاصرة رقم (١٠٦)

قصوى ، تدفعك لمحاولة انتزاع مشروع (السوبرمان)
بالقوة لمواجهتها ..

قال (تورنسول) فى سرعة :

- ولتجربة المشروع من الناحية العملية أيضا ..

أجاب الوزير فى صرامة :

- المشروع تمت تجربته بالفعل ، خلال المناورة

الحية ، التى أقيمت خصيصا لهذا .

قال (تورنسول) فى هزم :

- التجربة العملية تختلف كثيرا ، وكلانا يعلم هذا .

اتفق حاجبا الوزير ، ولأنه بالصمت يضع لحظات ،

قبل أن يلوح بيده ، قائلا فى حق :

- كلا .. لن نجرى التجربة لاختبار فاعلية سلاح

كهذا ضد رجل واحد .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذا فى حدة :

- ألا تدرك يا رجل أن مشروع (السوبرمان) يجعل

صاحبه قادرا على التصدى لفرقة كاملة مسلحة ؟ ..

أنسيت أننا اخترناه ضد كتيبة من القوات الخاصة ،

فانتصر عليها كلها ؟ .. أبعد كل هذا تطالهنى بتجربته

ضد رجل واحد ؟

شد (تورنسول) قامته ، وهو يجيب :

- بل أظالك بإثبات قدرة مشروعكم السرى العملاق
هذا ، على التغلب على ذلك الرجل .

هذى الوزير فى وجهه بدهشة مستكرة ، قبل أن

يقول :

- رجل واحد ؟ .. ماذا تقول يا جنرال (تورنسول) ؟

أجاب (تورنسول) فى صرامة :

- أقول : إننى واثق من أن رجلا واحدا جيد التدريب ،

مثل (آدم صبرى) هذا ، يمكنه التغلب على مشروع

(السوبرمان) بشيء من الجهد والإصرار .

التقى حاجبا الوزير فى غضب ، وهو يقول :

- هكذا ؟

أسرع (تورنسول) بضيف :

- ويمكننى أن أراهن على هذا .

احتقن وجه الوزير فى غضب ، ولوح بمسبأته فى

وجه (تورنسول) ، قائلا :

- فليكن يا جنرال .. أراهنك أنا أيضا على أن ..

وبتر عبارته بفتة ، وتراجع لحظة ، قبل أن يلتقط

نفسا عميقا ، ويقول فى شيء من العصبية :

- هل تعتمد استفزازى ، لتحصل على موافقتى على

استخدام مشروع (السوبرمان) ، فى مواجهة ذلك

الرجل ؟

هتف (تورنسول) فى حماس :

— مطلقا . إبنى أسعى مثلك للتيقن من قدرة

المشروع وكفائته .

ثم أضاف فى خبث :

— أليس هذا أفضل من كشف نقاط ضعفه بفتة ، فى

أثناء معركة حاسمة فاصلة ؟!

التقى حاجبا الوزير مرة أخرى ، وتراجع ليجلس

على مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو

يتطلع إلى (تورنسول) بضع لحظات ، قبل أن يقول

فى عصبية :

— مازلت أشعر بأنك تبغى لاستفزازى .

ثم اعتدل بفتة ، مستطرذا :

— ولقد نجحت فى هذا .

والتقط قلمه . وهو يوقع تصريحها بحصول

(تورنسول) على مشروع (السوبرمان) ، وهو

يضيف فى حزم :

وأعشتم أن تثبت التجربة أنك على خطأ .

برقت عينا (تورنسول) فى ظفر بلا حدود ، وهو

يلتقط التصريح ، وخفق قلبه فى قوة ، وقد بدا له أنه ،

أخيرا يحمل فى يده السلاح اللازم لمواجهة خصمه .

ولسحقه سحقا ..

* * *

لم يكد (جان زوكرمان) ينتهى من تحميلض الفيلم ،

الذى أخرجه من آلة التصوير الخاصة بزواجه الراحلة ،

حتى أسرع به إلى منضدة الإضاءة الخاصة ، والتقط

عدسة مكبرة ، وراح يفحصه فى عناية ، والمفتش

(بابلو) يتابعه فى لهفة واهتمام . حتى سمعه يهتف

فى حماس :

— آه .. هاهوذا ..

قفز إليه (بابلو) . يسأله فى انفعال :

— ماذا وجدت ؟

أشار (زوكرمان) فى حرص إلى الفيلم ، قائلا :

— انظر إلى هذا الذى يبدو بين الصخور انظر

جيدا ، فأنت لا تجد قراءة النسخة السلبية ، وسيحتاج

منك هذا إلى بعض الجهد . ألا يبدو لك المبني واضحا ؟

هيا .. استخدم العدسة المكبرة .

التقط (بابلو) العدسة المكبرة ، وتطلع بوساطتها

إلى الفيلم فى اهتمام بالغ . ثم انعقد حاجباه فى شدة ،

عندما وقع بصره على ذلك الجزء من القصر ، الذى

أحسن (أنجيل لوبان) التقاطه ، فبدت صورته واضحة جلية ..

وفي أفعال ، هدف المفتش (بابلو) :

- لقد كنت على حق . كنت على حق بالتأكد .

ووثب يختطف سماعة الهاتف ، ويدير رقم رئيس الشرطة ، في حين استعاد (زوكرمان) الفيلم ، ووقف يراقبه ، وهو يقول عبر الهاتف في أفعال :

- مرحباً يا سيدي الرئيس .. إنه أنا .. المفتش (بابلو) .. لن تصدق ما توصلنا إليه يا سيدي .. هل تتصور أننا عثرنا على آلة التصوير الثانية ؟ نعم .. المصورة القليلة كانت تمتلك التي تصوير لا واحدة .. والأدهى أننا عثرنا على فيلم سليم في آلة التصوير .. نعم يا سيدي لقد قام زوجها بتحميضه فوراً .. نعم هو أيضاً مصور محترف .. هل تعلم ما الذي التقطت المصورة صورته ، والذي كان سبباً في قتلها على الأرجح .. إنه قصر يختفي وسط الصخور ، و ...

بتر عبارته بفتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وبدأ عليه الارتباك ، وهو يغمغم في توتر :

- ولكن يا سيدي الرئيس .. معذرة .. سأطبع أوامرك بالطبع ، ولكن هذا الفيلم ربما يكون الدليل الوحيد

على .. آه .. كلاً .. نعمت أناقش أوامرك يا سيدي الرئيس ، ولكن ..

احتقن وجهه أكثر وأكثر ، وزلزل في عصبية ، قبل أن يتابع :

- لئلا يكون يا سيدي الرئيس .. فليكن .. سأفعل كل ما تطلبه .

وأبهى الاتصال في توتر زائد ، وظل صامتاً ، يحدق في الهاتف يضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (زوكرمان) ، ويتحاشى النظر إلى وجهه ، قائلاً :

- معذرة يا منيور (زوكرمان) ، ولكن .

قاطعته (زوكرمان) في عصبية :

- رئيسك طلب منك كتمان الأمر ، وتدمير النسخة المملوكة .. أليس كذلك ؟!

أوما برأسه إيجاباً في حرج ، مضطرباً .

- ربما يبدو لك هذا تعنتاً ، ولكن الرئيس يدرك ما يفعله جيداً ، ومما لا شك فيه أن ..

قاطعته (زوكرمان) في حنق :

- لا داعي للبحث عن تبريرات أيها المفتش .. أعلم

أن الأمر ليس بيدك ، وأنت مضطر لتنفيذ الأوامر .

تنهد (بابلو) في أسف ، ونوح بكفيه ، قائلاً :



شعر (بابلو) بأسي حقيقى ، وهو يراقب الفيلم .

التهمة النيران ، فى أرضية المعمل الصغير .

.. هذا صحيح يا سنيور (زوكرمان) . لست أملك
هنا سوى طاعة أوامر الرؤساء .
عض (زوكرمان) شفثيه فى غيظ ، قائلا :
.. أعلم هذا أنها المفتش ، ولن أجعل موقفك أكثر
صعوبة .
قالها ، وهو يلتقط الفيلم السلبي ، ويشغل قذاحته ،
فسأله (بابلو) فى لهفة لاحتلو من الأسف :
.. هل ستحرقه ؟
أشعل (زوكرمان) النار فى طرف الفيلم ، قائلا :
.. وهل تملك سوى هذا ؟
شعر (بابلو) بأسي حقيقى ، وهو يراقب الفيلم ،
الذى التهمته النيران ، فى أرضية المعمل الصغير ، فى
منزل (زوكرمان) ، حتى أتت عليه تماما ، فتهد مرة
أخرى ، وغمغم :
.. أكرر أسفى يا سنيور (زوكرمان) .
أشاح (زوكرمان) برأسه ، قائلا :
.. لا عليك .. كان هذا حتميا .
ربت (بابلو) على كتفه مشقفا ، وهز رأسه مرة
أخرى ، وهو يغادر المكان ، وراقبه (زوكرمان) حتى
أغلق باب المنزل خلفه ، ثم ابتسم فى سخرية ، وقال
بصوت خافت :

- سامحنى لأننى خدعتك أيها المفتش .
وفتح درج معمله ، والتقط منه الفيلم الحقيقى ،
متابعا :

- ولكننى خشيت أن يحدث هذا بالفعل .
واتجه فى حسم إلى جهاز طبع وتكبير الصور
الإيجابية ، ووضع الفيلم فى المكان المخصص له ،
وهو يدور قرص الهاتف ، ويطلب رقما فى (نيويورك)
ولم يكد الاتصال يتم ، حتى قال :

- صباح الخير يا (فريدى) .. إنه أنا .. (زوكرمان)
لدى هنا قصة مدعمة بالصور ، ستثير اهتمامك بشدة ..
نعم .. أنا واثق من هذا .. آه .. هل تسأل عن
أهميتها ؟ .. أعتقد أنها شديدة الأهمية ، إلى الحد الذى
لقيت فيه زوجتى مصرعها بسببها .. نعم .. زوجتى
(أنجيل) .. نعم .. نعم .. سأقص عليك كل شيء عندما
نلتقى .. أما الآن ، فسا طبع الصور وأرسلها إليك على
الفور . صدقتى يا (فريدى) .. هذه القصة لن تضمن
لك منصب نائب رئيس تحرير مجلة (تايم) لمصعب ،
بل وستحصل بفضلها على جائزة (بوليتزر) (*) أيضا .

(*) جائزة بوليتزر . جائزة سنوية تمنح لأفضل تحقيق صحفى ، وهو
تساوى جائزة الأوسكار فى عالم الصحافة والأدب

قالت ، وأنهى المحادثة ، وراح يطبع الصور فى
منتهى الدقة والإتقان ..

وفى منتهى الحماس أيضا ..
لفى أعماقه ، كان يدرك أن هذه الصور ستكون
وسيلته الوحيدة للنار ممن قتلوا زوجته ..
أما فى الواقع ، فقد كانت هذه الصور أثمن بكثير ..
لقد كانت تكفى لتحطيم وكر من أشهر أوكار هذا
القرن ..

وكر الألقى ..

* * *

وضع (توماس كلارك) منظاره المقرَّب على
عينيه ، وهو يراقب منطقة ميناء (نيويورك) ، وتلك
الجزيرة عند مدخله ، التى يطل من مركزها تمثال الحرية
بحجمه الهائل ، قبل أن يرفع جهاز الاتصال اللاسلكى
إلى فمه ، ويقول فى صرامة :

- الهدف لم يظهر بعد .. هل اتخذ الجميع مواقفهم ؟
أجاب (أندريه كارل) و (تيد بروكسون) ، من
بخت يحوم حول الجزيرة :

- كل شيء على ما يرام يا (توم) .. منرصد
الهدف فور وصوله .

أما (جيسون تانج) ، فقد أجاب من مكنه المظل
على الميتاء :

- أنا في موقعي يا (توم) .

قال له (توماس) في حزم :

- لا تحاول اصطياذه فور وصوله .. لا تريد إفساد
الخطه كلها ، لو أخطأت إصابته .

قال (جيسون) في عصبية :

- بندقيتي المزودة بالمنظار المقرب الفائق ، لم تخطئ
إصابة هدفها قط ، طوال عشر سنوات كاملة يا (توم) .

أجاب (توماس) في حدة :

- أعلم هذا يا (جيس) ، ولكن ذلك الرجل محظوظ
أكثر مما ينبغي ، ولا تريد أية أخطاء أو احتمالات هذه
المره . لقد فقدنا ثلاثة من أفضل رجالنا ، في
مواجهتنا السابقة معه .

أتاه صوت (جيسون) ، وهو يقول :

- وهذا ما يحفزنا على قتله يا (توم) .

أجاب (توماس) :

- كننا هذا الرجل يا (جيسون) ، ولكن ينبغي أن
يتم هذا بدقة متناهية ، وطبقا لخطه لا يتطرق إليها

الفشل قل لي هل اتخذت موقعك ؟

أجاب (جيسون) على الفور :

- بالطبع يا (توم) .. أنا متمركز على قمة بناية
تحت الإنشاء ، تطل على الميناء مباشرة ، وبندقيتي
مستعدة لنسف رأس ذلك الرجل فور ظهوره .

صاح به (توماس) :

- إياك أن تفعل .. أنت هنا لنقضاء عليه ، في حالة
إسحابه فقط .

سأله (جيسون) في سخط :

- هل تضع أدنى احتمال لنجاة من (أندريه) و (تيد) ؟

أجاب (توماس) في حدة :

- لقد نجا أكثر من مرة من قبل ، ولست على
استعداد للمخاطرة هذه المرة . سيسير كل شيء وفقا
للخطه ، وأقسم أن أطلق النار على أول من يخرج عنها .
لم يرق هذا القول لرفاقه ، إلا أنهم لاذوا بالصمت ،
وكل منهم يسترجع ما قرأه في ملف (أدهم) ، وما
فعله خلال الساعات القليلة الماضية ، و

وفجأة ، هتف (توماس) ، عبر جهاز الاتصال
اللاسلكي :

- ها هوذا .

شحن هدفه حواس الجميع دفعة واحدة ، وبخاصة

(جيسون) ندى يطل على ميناء ، ويبدو له (أدهم)

في وضوح ، وهو يغادر مع (حيهان) السيرة التريضية .

ويتجهان نحو زورق كبير ، من تلك الزوارق التي تنقل
السائحين إلى جزيرة تمثال الحرية .

وفي افعال ، قال (جيسون) :

- إنني أراه بكل وضوح من هنا يا (توم) ، ويمكنني
أن أنسف رأسه بضغطة واحدة على الزناد .

أجاب (توماس) في حدة :

- إياك .. دعه يستقل الزورق مع زميلته ، ويذهبان
معا إلى الجزيرة .. لقد اتخذت ما يلزم من الترتيبات
لعزلهما هناك ، حيث سيصبح التخلص منهما أكثر
سهولة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في حزم :

- وأكثر ضمانًا .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت
(جيهان) تقول له (أدهم) في حيرة :

- قل لي : أليس من الخطورة أن تجول بوجه عار
على هذا النحو ، بعد أن وزعت المباحث الفيدرالية
نشرة بأوصافك ، في (نيويورك) كلها ، وشاهد
الملايين صورتك على شاشات (التلفزيون) ، في
أثناء معركة المستشفى ؟

هز رأسه نفياً في هدوء ، وهو يجيب :

- مطلقاً يا عزيزتي ، فكل رجل شرطة في (نيويورك)
سيبذل قصارى جهده للبحث عني في كل مكان يمكن أن
يختبئ فيه رجل هارب من العدالة ، ولكن أحدهم لن
يخطر بباله قط أن يبحث عني هنا ، في مكان يتوافد
عليه مئات السائحين يوميًا ، وعلى هذه الصورة
السافرة .

تطلعت إليه لحظة في دهشة ، قبل أن تبسم ، قائلة :

- هل يروق لك دائماً أن تسخر من الآخرين ؟

هز رأسه نفياً ثانية ، وهو يقول :

- بل يروق لي أن أتعامل مع الطباع البشرية على
نحو مباشر ، وأن أجيد استغلال نقاط ضعفها لصالحى .
ابتسمت في مرارة ، مخمضة :

- هذا لن يدهشنى .

ألقي عليها نظرة سريعة ، وهما يستقلان الزورق ،
دون أن ينبس ببنت شفة ، في حين قالت هي ، في
شيء من العصبية :

- ولكن ، ألا يبدو لك استغلال الضعف البشرى أمراً
يتنافى مع قواعد الأخلاق والشهامة ؟
ابتسم ، قائلاً :

- من الواضح أنك أسأت فهم المعنى يا زميلتى

العزيزة .. هناك فارق ضخم بين استغلال التوازن البشرية ، واستغلال الضعف البشري ، فأنا لم أقصد محاولات إغواء أى شخص ، أو العبث بمشاعره وأحاسيسه ، وإنما كنت أشير إلى أوجه الضعف البشري الطبيعية ، وبالتحديد إلى عدم ثقة معظم الناس بحواسهم الخاصة ، كالسمع والبصر واللمس وغيرها .. ولقد اختبر أحد مقدمى البرامج الهزلية هذا الأمر ، عندما عرض على عدد من الناس صورته الشخصية ، وهو يسألهم بنفسه عما إذا كانوا قد رأوا صاحب الصورة أم لا ، فأكد تسعة من كل عشرة أنهم لم يروه فى حياتهم قط ، وهم يتطلعون إلى وجهه مباشرة (*)

بدا عليها الاهتمام ، وهى تسأله :

- هل تعنى أنه حتى الذين رأوا صورتك قد لا يمكنهم

تعرفك عند رؤيتك ؟

أشار بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. لقد درسنا هذا الأمر فى الإدارة ،

وعرضنا شريطاً مسجلاً لذلك البرنامج الهزلى أكثر من

عشر مرات ، وتأكدنا من وجود هذا الضعف البشري

بنسبة تزيد على ثمانين فى المائة .

(*) واقعة حقيقية

سألته فى دهشة :

- هل تدرسون البرامج الهزلية أيضاً ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نحن ندرس كل ما يمكن أن يفيدنا ، ومن أى

مصدر كان .

تطلعت إليه لحظة فى انبهار ، ثم انحنيت تستند إلى

حاجز الزورق ، وتراقب تمثال الحرية ، الذى يقترب

منه الزورق رويداً رويداً ، دون أن تدري أن صورتها

كانت تحتل ، فى تلك اللحظة ، مكان الصدارة ، من

خلال المنظر المقرب ، الذى يراقبهما به (تيد) من

اليخت ، وهو يقول لـ (توماس) ، عبر جهاز الاتصال

اللاسلكى :

- الهدف شديد الوضوح من هنا أيضاً يا (توم) ،

و (أندريه) يؤكد أنه يستطيع إصابته فى منتصف

جبهته ، دون أننى احتمال للخطأ .

أجاب (توماس) فى صرامة :

- أتركه يصل إلى الجزيرة أولاً ، وعندما يرحل

الزورق ، سأمنح كلا منكم الحق فى قتله وفقاً يشاء .

ابتسم (تيد) فى جنل ، قائلاً :

- فليكن يا (توم) .

وأنهى الاتصال ، وهو يواصل مراقبة (أدهم)
و (جيهان) ، حتى وصل بهما الزورق إلى الجزيرة ،
فغادراه مع السالحين الآخرين ، في حين استقله لوج
السالحين السابق ، وانطلق بهم الزورق عائداً إلى
الميناء ..

وما إن ابتعد الزورق عن الجزيرة بمسافة كافية ،
حتى قال (تيد) عبر جهاز الاتصال اللاسلكي :
- رجل الزورق يا (توم) .

اتعد حاجبا (توماس) ، وهو يقول :
- لليكن يا (تيد) .. يمكنكم بدء الخطة .
وكانت هذه العبارة إيذانا بإطلاق كل مشاعر الغضب ،
المكبوتة في أعماق القنلة المحترفين الأربعة ، الذين
يحاصرون (أدهم) و (جيهان) في جزيرة تمثال
الحرية ..

وإذانا ببدء أضخم المعارك في حياة رجل المستحيل .
وأكثر عنفاً وشراسة ، و ..
وخطورة .

انتهى الجزء الثاني بحمد الله تعالى
ويليه الجزء الثالث بإذن الله
(الفخ)



د. نبيل فاروق

**رجل
المتفيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

107

الشمس في مصر ٢٠٠٠
وسامه بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

اتحاد القتلة

- كيف ينجو (أدهم صبرى) من محاولة قتله في سجن (نيويورك) ؟..
- ما الخطة التي سيتبعها (توماس كلارك) ورفاقه ، للتخلص من (أدهم) و (جيهان) ؟..
- ترى لن يكون النصر هذه المرة ، لرجل المستحيل أم للاتحاد .. (اتحاد القتلة) ؟..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الضخ